المختار الإسلامي

مجلة كل المسلمين www.almokhtar-aleslami.com

العدد ٣٧٥ - السنة ٣٥ - ٢٧ ذو القعدة ١٤٣٤هـ - أكتوبر ٢٠١٣م - الثمن خمسة جنيهات

العرب يسلمون أسلحتهم !!

مصر وإسرائيل .. وحكاية الحرب والسلام !!

ورحل زعيم السفارديم المتطرف

مصر الهرة الحبيسة !!

أكذوبة جهاد النكاح

كيسنجر يكشف تفاصيل عن حرب أكتوبر

فى هذا العدد

- السلام عليكم ٢

- ذو القرنين ٣

- المنظومة الاجتماعية الإسلامية ١٢

- مصر الهرة الحبيسة ٢٨

- مصر وإسرائيل وحكاية الحرب والسلام ٣٨

- أسئلة عن عملية التغيير السياسى فى المشرق . ٤٢

- سعيد بن جبير ٤٦

- القرآن بين دفع الله وحتمية الاختلاف ٥٠

- ابن سبيل ٥٢

- "آنا مارى شميل" .. نعم إنى أحبه ٥٨

- أكذوبة جهاد النكاح ٦٠

- كسينجر يكشف تفاصيل خطيرة عن حرب اكتوبر ٦٦

- الشخصية الإسلامية فى أدبنا الحديث ! ٦٩

- ورحل زعيم السفارديم المتطرف ٧٢

- العرب يسلمون أسلحتهم ٧٦

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

تصدر عن

جمعية المختار الإسلامى

المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية

٣ حارة الجمل

متفرع من ميدان السيدة زينب

أسسها حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر غرة كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

المشرف العام

حسين عاشور

رئيس التحرير

د . محمد مورو

سكرتير التحرير

حنان حسين عاشور

الإشراف الفنى

على عبيد

الإدارة والتحرير

٣ حارة الجمل

متفرع من ميدان السيدة زينب

تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١

فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٧٥ جنيها

خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات باسم

حنان حسين أحمد عاشور

بريد إليكترونى

alim_ebeid@yahoo.com

mokh_51@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

مفاجأة !!

سلماوى: دستور ٢٠١٢ لم يعرض علينا ونعد مشروعا لدستور جديد

أكد محمد سلماوى، المتحدث الرسمى باسم لجنة الخمسين، أن اللجنة لم يعرض عليها أى نسخة من دستور ٢٠١٢ التابع لجماعة الإخوان المسلمين، مؤكداً أن اللجنة تتعامل مع الدستور على أنه غير شرعى فكيف نجرى تعديلات عليه؟ وشدد خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده اليوم لعرض ما تم انجازه من التعديلات الدستورية، على أن هذا الدستور منزوع الشرعية ولن يتم تعديله ولكن اللجنة تدخل تعديلاتها فقط على وثيقة لجنة العشرة وهى التوصيات التى طرحتها اللجنة المعينة ومكونة من عشرة خبراء .

وأضاف "نحن نبدل ونغير فى وثيقة لجنة العشرة وليس ٢٠١٢"، مشيراً إلى أن مهمة عمل اللجنة محسومة وهى وضع دستور جديد بالاستعانة بوثيقة لجنة العشرة .

وشدد على أن الوثيقة التى ستخرج بها لجنة الخمسين ستأتى تحت اسم "مشروع دستور ٢٠١٣" .. ونوه بأن ذلك لا يعنى أننا نتعارض مع نص القرار الجمهورى بقصر عمل اللجنة على تعديلات دستورية، مشدداً على أن اللجنة لم تتجاوز صلاحياتها وعملها قانونى ومتوافق مع القرار الجمهوري .

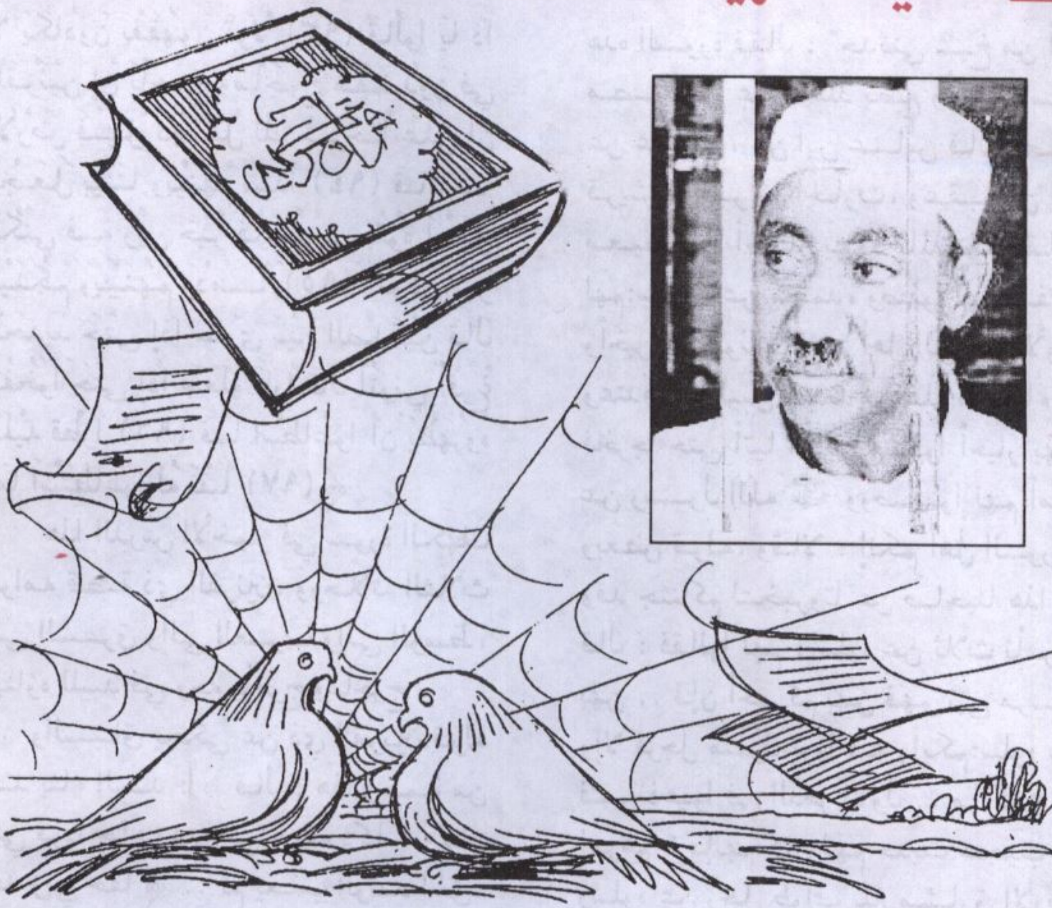

ذو القرنين

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ
سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ
فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً
(٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ
مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ
حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ
إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً
(٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ
يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً (٨٧) وَأَمَّا
مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى
وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَباً (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ
وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْراً (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْراً (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٢) حَتَّى
إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً

لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) ﴾

هذا الدرس الأخير في سورة الكهف قوامه قصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الشرق وإلى الغرب وإلى الوسط، وبناؤه للسد في وجه يأجوج ومأجوج .

والسياق يحكي عن ذي القرنين قوله بعد بناء السد : ﴿ قال : هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقا ﴾ .. ثم يعقب الوعد الحق، بالنفخ في الصور ومشهد من مشاهد القيامة .. ثم تختم السورة بثلاثة مقاطع، يبدأ كل مقطع منها بقوله : ﴿ قل ﴾ .

وهذه المقاطع تلخص موضوعات السورة الرئيسية واتجاهاتها العامة .. وكأنما هي الإيقاعات الأخيرة القوية في اللحن المتناسق .

وتبدأ قصة ذي القرنين على النحو التالي :

﴿ ويسألونك عن ذي القرنين .. قل : سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة فقال : "حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال "بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم:سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء .. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا : إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .. قال : فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن .. فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم:سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول .. ما كان من أمرهم ؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب .. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها .. ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا : يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .. قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ... فأخبروهم بها .. فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا .. فسألوه عما أمرهم به .. فقال لهم رسول الله ﷺ "أخبركم غدا عما سألتم عنه" - ولم يستثن - فانصرفوا عنه

.. ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة ؛ وقالوا : وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه .. وحتى أحزن رسول الله صمت الوحي عنه ؛ وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة .. ثم جاءه جبرائيل - عليه السلام - من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن الروح ... ﴾ الآية .

هذه رواية .. وقد وردت عن ابن عباس - رضي الله عنه - رواية أخرى في سبب نزول آية الروح خاصة، ذكرها العوفي .. وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : أخبرنا عن الروح .. وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله ؟ ولم يكن نزل عليه شيء .. فلم يحر إليهم شيئا .. فأتاه جبريل فقال له : (قل : الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .. إلى آخر الرواية .

ولتعدد الروايات في أسباب النزول، نؤثر أن نقف في ظل النص القرآني المستيقن . ومن هذا النص نعلم أنه كان هناك سؤال عن ذي القرنين .. لا ندري - على وجه التحقيق - من الذي سأله .. والمعرفة به لا تزيد شيئا في دلالة القصة .. فلنواجه النص بلا زيادة ..

إن النص لا يذكر شيئا عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه .. وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن .. فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود .. إنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة .. والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان .

والتاريخ المدون يعرف ملكا اسمه الاسكندر ذو القرنين .. ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور في القرآن .. فالإسكندر الإغريقي كان وثنيا .. وهذا الذي يتحدث عنه القرآن مؤمن بالله موحد معتقد بالبعث والآخرة .

ويقول أبو الريحان البيروني في المنجم في كتاب : "الآثار الباقية عن القرون الخالية" إن ذا القرنين المذكور في القرآن كان من حمير مستدلا باسمه . فملوك حمير كانوا يلقبون بذي . كذي واس وذي يزن .. وكان اسمه أبو بكر بن افريقش .. وأنه رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، فمر بتونس ومراكش وغيرهما ؛ وبنى مدينة إفريقية فسميت القارة كلها باسمه .. وسمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس .

وقد يكون هذا القول صحيحا .. ولكننا لا نملك وسائل تمحيصه .. ذلك أنه لا يمكن البحث في التاريخ المدون عن ذي القرنين الذي يقص القرآن طرفا من سيرته، شأنه شأن كثير من القصصِ الوارد في القرآن كقصص قوم نوح وقوم هود وقوم

صالح وغيرهم .. فالتاريخ مولود حديث العهد جدا بالقياس إلى عمر البشرية .. وقد جرت قبل هذا التاريخ المدون أحداث كثيرة لا يعرف عنها شيئا .. فليس هو الذي يستفتي فيها !

ولو قد سلمت التوراة من التحريف والزيادات لكانت مرجعا يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث .. ولكن التوراة أحيطت بالأساطير التي لا شك في كونها أساطير .. وشحنت كذلك بالروايات التي لا شك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله .. فلم تعد التوراة مصدرا مستيقنا لما ورد فيها من القصص التاريخي .

وإذن فلم يبق إلا القرآن .. الذي حفظ من التحريف والتبديل .. هو المصدر الوحيد لما ورد فيه من القصص التاريخي.

ومن البديهي أنه لا تجوز محاكمة القرآن الكريم إلى التاريخ لسببين واضحين :

أولهما : أن التاريخ مولود حديث العهد، فاتته أحداث لا تحصى في تاريخ البشرية، لم يعلم عنها شيئا .. والقرآن يروي بعض هذه الأحداث التي ليس لها لدى التاريخ علم عنها !

وثانيهما : أن التاريخ - وإن وعى بعض هذه الأحداث - هو عمل من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والخطأ والتحريف . ونحن نشهد في زماننا هذا - والذي تيسرت فيه أسباب الاتصال ووسائل الفحص - أن الخبر الواحد أو الحادث الواحد يروى على أوجه شتى، وينظر إليه من زوايا مختلفة، ويفسر تفسيرات متناقضة .. ومن مثل هذا الركام يصنع التاريخ، مهما قيل بعد ذلك في التمحيص والتدقيق !

فمجرد الكلام عن استفتاء التاريخ فيما جاء به القرآن الكريم من القصص، كلام تنكره القواعد العلمية المقررة التي ارتضاها البشر، قبل أن تنكره العقيدة التي تقرر أن القرآن هو القول الفصل .. وهو كلام لا يقول به مؤمن بالقرآن، ولا مؤمن بوسائل البحث العلمي على السواء .. إنما هو مراء !!!

لقد سأل سائلون عن ذي القرنين .. سألوا الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته .. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة .. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم .. وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة، ولكنها لا تعتمد على يقين .. وينبغي أن نؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليات وأساطير .

وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات : واحدة إلى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين .. فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث .

يبدأ الحديث عن ذي القرنين بشيء عنه :

﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا ﴾ .

لقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم b ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع .. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة .

﴿ فأتبع سببا ﴾ .. ومضى في وجه مما هو ميسر له، وسلك طريقه إلى الغرب .

﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوما . قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا .. قال : أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا .. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ .

ومغرب الشمس هو المكان الذي يرى الرائي أن الشمس تغرب عنده وراء الأفق .. وهو يختلف بالنسبة للمواضع .. فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف جبل .. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار .. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الرمال إذا كان في صحراء مكشوفة على مد البصر .

والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطيء المحيط الأطلسي - وكان يسمى بحر الظلمات ويظن أن اليابسة تنتهي عنده - فرأى الشمس تغرب فيه .

والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار .. حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ .. وتوجد البرك وكأنها عيون الماء .. فرأى الشمس تغرب هناك و﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ .. ولكن يتعذر علينا تحديد المكان، لأن النص لا يحدده .. وليس لنا مصدر آخر موثوق به نعتمد عليه في تحديده .. وكل قول غير هذا ليس مأمونا لأنه لا يستند إلى مصدر صحيح .

عند هذه الحمئة وجد ذو القرنين قوما :

﴿ قلنا : يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ﴾ .

كيف قال الله هذا القول لذي القرنين ؟ أكان ذلك وحيا إليه أم إنه حكاية حال .. إذ سلطه الله على القوم، وترك له التصرف في أمرهم فكأنما قيل له:دونك وإياهم .. فإما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ؟ كلا القولين ممكن، ولا مانع من فهم النص على هذا الوجه أو ذاك .. والمهم أن ذا القرنين أعلن دستوره في معاملة البلاد المفتوحة، التي دان لها أهلها وسلطه الله عليها .

﴿ قال : أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا .. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ .

أعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه

الدنيوي وعقابه، وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم عذابا فظيعا (نكرا) لا نظير له فيما يعرفه البشر .. أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير .

وهذا هو دستور الحكم الصالح .. فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم .. والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء .. وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسنا، ومكانا كريما وعونا وتيسيرا ؛ ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة .. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج .. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة ؛ وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون . فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد .. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد ..

ثم عاد ذو القرنين من رحلة المغرب إلى رحلة المشرق، ممكنا له في الأرض، ميسرة له الأسباب :

﴿ ثم أتبع سببا .. حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا .. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ﴾ .

وما قيل عن مغرب الشمس يقال عن مطلعها .. فالمقصود هو مطلعها من الأفق الشرقي في عين الرائي .. والقرآن لم يحدد المكان .. ولكنه وصف طبيعته وحال القوم الذي وجدهم ذو القرنين هناك : ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ .. أي إنها أرض مكشوفة، لا تحجبها عن الشمس مرتفعات ولا أشجار .. فالشمس تطلع على القوم فيها حين تطلع بلا ساتر .. وهذا الوصف ينطبق على الصحارى والسهول الواسعة .. فهو لا يحدد مكانا بعينه .. وكل ما نرجحه أن هذا المكان كان في أقصى الشرق حيث يجد الرائي أن الشمس تطلع على هذه الأرض المستوية المكشوفة، وقد يكون ذلك على شاطيء إفريقية الشرقي .. وهناك احتمال لأن يكون المقصود بقوله : (لم نجعل لهم من دونها سترا) أنهم قوم عراة الأجسام لم يجعل لهم سترا من الشمس .

ولقد أعلن ذو القرنين من قبل دستوره في الحكم، فلم يتكرر بيانه هنا، ولا تصرفه في رحلة المشرق لأنه معروف من قبل، وقد علم الله كل ما لديه من افكار واتجاهات .

ونقف هنا وقفة قصيرة أمام ظاهرة التناسق الفني في العرض .. فإن المشهد الذي يعرضه السياق هو مشهد مكشوف في الطبيعة : الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر .. وكذلك ضمير ذي القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله .. وكذلك يتناسق المشهد في الطبيعة وفي

ذي القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة .

﴿ ثم أتبع سببا .. حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا .. قالوا : يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال : ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما .. آتوني زبر الحديد .. حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا .. حتى إذا جعله نارا قال : آتوني أفرغ عليه قطرا .. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا .. قال : هذا رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقا ﴾ .

ونحن لا نستطيع أن نجزم بشيء عن المكان الذي بلغ إليه ذو القرنين (بين السدين) ولا ما هما هذان السدان .. كل ما يؤخذ من النص أنه وصل إلى منطقة بين حاجزين طبيعيين، أو بين سدين صناعيين .. تفصلهما فجوة أو ممر .. فوجد هنالك قوما متخلفين : ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ﴾ .

وعندما وجدوه فاتحا قويا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح .. عرضوا عليه أن يقيم لهم سدا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون في أرضهم فسادا ؛ ولا يقدرون هم على دفعهم وصدهم .. وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم .

وتبعا للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال ؛ وتطوع بإقامة السد ؛ ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين ؛ فطلب إلى أولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية : ﴿ فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما .. آتوني زبر الحديد ﴾ .. فجمعوا له قطع الحديد، وكوموها في الفتحة بين الحاجزين، فأصبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما .. ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ وأصبح الركام بمساواة القمتين ﴿ قال : انفخوا ﴾ على النار لتسخين الحديد ﴿ حتى إذا جعله نارا ﴾ كله لشدة توهجه واحمراره ﴿ قال : آتوني أفرغ عليه قطرا ﴾ أي نحاسا مذابا يتخلل الحديد، ويختلط به فيزيده صلابة .

وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد ؛ فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته .. وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين، وسجله في كتابه الخالد سبقا للعلم البشري الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله .

بذلك التحم الحاجزان، وأغلق الطريق على يأجوج ومأجوج ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾ ويتسوروه ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ فينفذوا منه . وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف المتخلفين ..

فأمنوا واطمأنوا .

ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم .. ولكنه ذكر الله فشكره .. ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه .. وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا أجرد مستويا .

﴿ قال : هذا رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء .. وكان وعد ربي حقا ﴾ .

وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين .. النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب ؛ فيجتاح الأرض شرقا وغربا ؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق ؛ ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه .. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل ؛ ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق .. ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله .

وبعد فمن يأجوج ومأجوج ؟ وأين هم الآن ؟.. وماذا كان من أسرهم وماذا سيكون !

كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن، وفي بعض الأثر الصحيح .

والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حكاه من قول ذي القرنين : ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقا ﴾ .

وهذا النص لا يحدد زمانا .. ووعد الله بمعنى وعده بدك السد ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار، وانساحوا في الأرض، ودمروا الممالك تدميرا .

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾ (١٠٠) ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (١٠١) ﴾ وفي موضع آخر في سورة الأنبياء : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون .. واقترب الوعد الحق ... ﴾ .

وهذا النص كذلك لا يحدد زمانا معينا لخروج يأجوج ومأجوج فاقتراب الوعد الحق بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر .. فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين

السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة .

وإذن فمن الجائز أن يكون السد قد فتح في الفترة ما بين : (اقتربت الساعة) ويومنا هذا .. وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج .

وهناك حديث صحيح رواه الإمام أحمد عن سفيان الثوري عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها حبيبة، عن زينب بنت جحش - زوج النبي ﷺ- قالت : استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول : "ويل للعرب من شر قد اقترب .. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا" وحلق (بإصبعيه السبابة والإبهام) .. قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال "نعم إذا كثر الخبيث" .

وقد كانت هذه الرؤيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن .. وقد وقعت غارات التتار بعدها، ودمرت ملك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد هولاكو في خلافة المستعصم آخر ملوك العباسيين .. وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ وعلم ذلك عند الله .. وكل ما نقوله ترجيح لا يقين ..ثم نعود إلى سياق السورة .. فنجده يعقب على ذكر ذي القرنين للوعد الحق بمشهد من مشاهد القيامة .

وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض، ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ؛ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ، الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري، وكان لا يستطيعون سمعا ..

وهو مشهد يرسم حركة الجموع البشرية من كل لون وجنس وأرض .. ومن كل جيل وزمان وعصر، مبعوثين منشرين .. يختلطون ويضطربون في غير نظام وفي غير انتباه، تتدافع جموعهم تدافع الموج وتختلط اختلاط الموج .. ثم إذا نفخة التجمع والنظام : ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا فإذا هم في الصف في نظام !

ثم إذا الكافرون الذين أعرضوا عن ذكر الله حتى لكأن على عيونهم غطاء، ولكأن في أسماعهم صمما .. إذا بهؤلاء تعرض عليهم جهنم فلا يعرضون عنها كما يعرضون عن ذكر الله .. فما يستطيعون اليوم إعراضا .. لقد نزع الغطاء عن عيونهم نزعا فرأوا عاقبة الإعراض والعمى جزاء وفاقا !

والتعبير ينسق بين الإعراض والعرض متقابلين في المشهد، متقابلين في الحركة على طريقة التناسق الفني في القرآن .

ويعقب على هذا التقابل بالتهكم اللاذع والسخرية المريرة :

أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي دوني أولياء .. إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ..

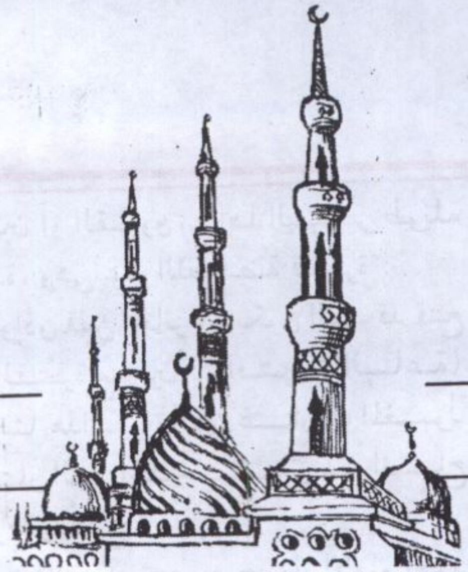

المنظومة الاجتماعية الإسلامية

وهذه المنظومة شديدة الاتساع، ولا يمكن الإحاطة بها، وبديهي أن هذه المنظومة تشمل النظام الأخلاقي الذي يؤدي بالضرورة إلى رقي الفرد ومسئوليته ومن ثم قدرته على الإدلاء برأيه، وتشمل العدل ونظام القضاء وغيرها .

العدل

العدل قيمة كبرى من قيم المشروع الإسلامي في مستواه العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين، وعلينا أن نبشر بالعدل ونأمر به ونأخذ به أنفسنا ونأخذ به الآخرين ونجاهد من أجل فرض العدل وتحقيقه في كل مكان ونصرة المظلوم أياً كان وفي أي مكان كان .

يجب أن نكون عادلين مع أنفسنا ومع الآخرين، عادلين في كل شيء في الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، ويجب توخي العدالة في المنازعات القانونية المحلية والدولية، بين الأفراد وبين الجماعات وبين الأمم على حد سواء، يجب توخي العدالة وذلك بعدم ازدواج المعايير القانونية، فما يطبق على الشريف يطبق على الضعيف وما يطبق على الحاكم يطبق على المحكوم، وما يطبق على الأصدقاء والأحباء يطبق على الأعداء والمكروهين، وما يطبق على الغني يطبق على الفقير .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ .. (النساء : ٥٨ . ٩٠) .. ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .. (النحل : ٧٦) .. ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

بقلم: د. محمد مورو

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .. (النحل ٩٠) .. ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .. (الحجرات ٩)

والله تعالى يتوعد الظالمين ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .. (الشورى ٤٢) .. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ .. (آل عمران٥٧ ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .. (آل عمران : ٨٦) .

وفي الحديث القدسي "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما" حديث صحيح .

"إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" حديث صحيح.

ومن الأقوال المأثورة "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة".

"الظلم يجلب النقم ويسلب النعم".

"لا يكون العمران حيث يجور السلطان".

عدم ازدواج المعايير!

ومن أهم مقومات العدل في الإسلام وجود معايير واحدة تنطبق على الجميع بدون استثناء، على من نحب ومن نكره ؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .. (المائدة : ٨) .

على الأقربين والأبعدين بل على أنفسنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ

خواطر مسلم

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ .. (النساء ١٣٥)

على الشريف والضعيف "إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنتي سرقت لقطعت يدها".

على القوي والضعيف فأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو القائل "القوي منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف قوي حتى آخذ الحق له".

ويروي التاريخ الإسلامي أن أميراً من أمراء الغساسنة كان يطوف بالبيت في عهد عمر بن الخطاب فوطئ إزاره شاب من قراره فلطمه الغساني لطمة جدعت أنفه، فذهب الشاب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وشكا إليه، فقال عمر للغساني له القصاص أو يعفو عنك، قال كيف وأنا أمير وهو سوقه ؟ فقال عمر لقد سوى الإسلام بينكما فلا تفاضل إلا بالتقوى فأخذ الأمير يسترضي الشاب الأعرابي، فلم يرض إلا أن يلطمه كما لطمه، وعلم الأمير أن الخليفة عمر سيمكن هذا الأعرابي من القصاص لا محالة ففر إلى الروم مرتداً عن الإسلام، فما اهتم عمر بذلك، فإنه خير للإسلام أن يخرج منه أمير على أن يمارس ازدواج المعايير .

وعندما ضرب ابن حاكم مصر ؛ أي ابن "عمرو بن العاص"، ضرب القبطي المصري، أمر عمر بن الخطاب خليفة المسلمين عندما وصل إليه الأمر - أن يضرب القبطي المصري ابن حاكم مصر بنفس الطريقة قصاصاً له وقال قولته المشهورة اضربه كما ضربك .. اضرب ابن الأكرمين" .

والرسول لم يستنكف أن يضع نفسه موضع القصاص وعرض نفسه للناس ليأخذوا حقوقهم منه حيث صعد المنبر قبيل وفاته قائلاً ما معناه "أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري.. ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي .. ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي" .. الحديث .

وعمر بن الخطاب يعطي الدرة للرجل ليضربه كما ضربه عندما اكتشف عمر بن الخطاب أنه ضربه بغير حق، ولكن الرجل يمتنع فيقول له اعف عني فيقول الأعرابي ولا أعفو حتى إن عمر بات ليلته مغتماً، فلما رآه الأعرابي في اليوم التالي وجد أثر الألم والهم على وجهه، فقال الأعرابي لعمر بن الخطاب لعل هذا لما كان بالأمس، فقال عمر الخليفة العادل نعم فقال الأعرابي الآن عفوت عنك .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر قضاته بالتسوية بين الخصوم في المجلس والنظر والإشارة والإقبال وقال في كتابه إلى أبي موسى الأشعري "سو بين

الخصمين في مجلسك وإشارتك وإقبالك، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع قوي في ضعفك".

ويروى أن أبا موسى الأشعري ضرب بعض رعيته أسواطاً وعلم ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرسل عمر إلى أبي موسى الأشعري، يقول له لقد عزمت عليك إن كنت ضربته في ملأ من الناس فليضربك بينهم، فلما حضر الرجل، وضع أبو موسى الأشعري نفسه في موضع الاستعداد لتلقي الضرب بالسوط، فعفا الرجل عنه.

ويروى أيضاً أن عمرو بن العاص قال لأحد الرجال يا منافق وكان ذلك في المسجد، فذهب الرجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له "لقد نفقني الأمير - وكان عمرو بن العاص أميراً - وما نافقت منذ أن أسلمت، فأرسل عمر إلى "عمرو" وقال له إن كنت نفقته في ملأ، فليضربك كذا سوط، فذهب الرجل إلى المسجد وقال من منكم سمع الأمير ينفقني، قالوا كلنا سمعه، فقرأ عليهم الكتاب فقال البعض "أو تضرب الأمير ؟! وصاحوا فيه مستنكرين ذلك، فقال الرجل ليس لأمير المؤمنين هنا طاعة، فقدم عمرو بن العاص نفسه إلى الرجل ليضربه، فقال الرجل الآن عفوت".

ووصل أمر العدل وعدم ازدواج المعايير إلى "أن المسلمين كانوا قد دخلوا بلداً يدعي صفد في إقليم سمرقند واشتكى أهل البلد إلى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين أن القائد الإسلامي قتيبة بن مسلم قد دخل ديارهم من غير أن يتبع معهم سنة الإسلام في تخييرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب، بل قاتلهم قبل أن يعرض عليهم هذه الخيارات، وحول الخليفة هذه الشكوى إلى القاضي، فدرس القاضي الموضوع وتبين صدق الشكوى، فأمر الجند بالخروج من الديار التي دخلوها، ونفذ الجند الأمر، وتركوا مدينة صفد امتثالاً للعدالة الإسلامية التي لا تعرف ازدواج المعايير.

وهكذا تعكس نصوص الإسلام العدل وعدم ازدواج المعايير كأروع ما يكون، وتعكسها أيضاً ممارسات الإسلام وحضارة الإسلام، ولا شك أن التركيز على هذه القيمة يعطي دفعة قوية للمشروع الحضاري الإسلامي أمام البشر جميعاً وهم الذين يعانون الآن وقبل الآن من غياب العدل ومن ازدواج المعايير في ظل الحضارة الغربية.كما بحقق أروع معاني الحرية .

اللاعنصرية

عانت البشرية طويلاً، ومازالت تعاني حتى هذه اللحظة، الممارسات العنصرية للحضارة الغربية، ومنذ تفوق الحضارة الغربية وقهرها للعالم وسيطرتها عليه، وهي تمارس أشكالاً متعددة من العنصرية من إبادة أجناس كاملة ؛ "الهنود الحمر" والتطهير العرقي للشعوب كالبوسنة

والهرسك، أو استرقاق السود وإقامة أنظمة الفصل العنصري -، ومازال الوجدان العنصري والممارسات العنصرية موجودة في أمريكا وأوروبا، لأن العنصرية جزء أصيل من القيم الحضارية الغربية.

ولا شك أن إبراز المساواة الإنسانية واللاعنصرية وهي من السمات الأساسية في الإسلام، لا شك أن إبراز هذه النقطة تشكل نقطة إضاءة كبيرة للمشروع الإسلامي في مستواه العام ويعكس الإسلام - وتعكس الحضارة الإسلامية على المستوى النظري والتطبيقي أروع صور المساواة واللاعنصرية "فالناس سواسية كأسنان المشط"، "وإن أكرمكم عند الله أتقاكم"، "ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"، "كلكم لآدم وآدم من تراب"، "إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء والأجداد، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى".

ولم تكن مصادفة أن التجربة الإسلامية الأولى قامت على أكتاف رجال كان منهم الكثيرون من العبيد والموالي أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وزيد بن حارثة.. وغيرهم، وكان من هؤلاء العبيد والموالي الكثير من قادة الإسلام العظام في كل مجال عسكري أو سياسي أو ثقافي، وكان منهم العلماء في العلوم الدينية والدنيوية على حد سواء وأسهم هؤلاء إسهاماً كبيراً في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية التي شارك فيها الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، التركي والفارسي والعربي على حد سواء.

ولعل إحدى السمات التي عاشت حتى الآن مع المسلمين ولم تتعرض للضعف في وجدانهم وسلوكهم برغم حالة الانحطاط التي يعيشونها هي روح المساواة الإنسانية واللاعنصرية، حيث إن المسلمين حتى الآن لا يعطون لاختلاف اللون أو الجنس أي اهتمام ويمارسون اللاعنصرية كسلوك عادي.

العناية بالضعيف

العناية بالضعيف محور مهم من محاور المشروع الإسلامي ولعل الإسلام دون المذاهب والفلسفات الاجتماعية والسياسية جعل للضعفاء حقوقاً نظرية وعملية، وجعل هذه الحقوق واجبة وجزءاً من العقيدة والإيمان من الناحية النظرية؛ فالماركسية - على سبيل المثال - لا تعترف بتلبية حاجات غير القادرين على العمل "لكل حسب طاقته"، فالعطف على الصغير والكبير والآباء واجب شرعي وكذلك البر بالآباء ﴿ وقضى ربك ألا

تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ .. (الإسراء : ٢٣-٢٤)، ورعاية الأبناء الصغار وتربيتهم وتلبية حاجاتهم البدنية والنفسية وتهذيبهم وتعليمهم واجب شرعي على الآباء فإن غاب الآباء فعلى الأقارب وإلا أثموا ويمكن للتقاضي الشرعي أن يلزمهم بذلك .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ .. (الأحزاب ٦) وكذلك فللفقراء والمساكين والعاجزين عن العمل حق معلوم لدى الدولة الإسلامية " ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .. (الذاريات ١٩) والأيتام كذلك يحرص الإسلام على رعايتهم أيما رعاية و﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ .. (الضحى ٩) قال : "أنا وكافل اليتم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى" .. صحيح تخريج *السيوطي* حققه الألباني

والضعفاء عموماً من أيتام ومساكين وفقراء وصغار وكبار سن وغرباء ومرضى وعاجزين ومعوقين لهم حقوق - نكرر حقوقاً - معلومة في أبواب الفقه الإسلامي ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ .. (الماعون : ٢) وللرحمة بعد الحقوق باب كبير من أبواب الإسلام، والله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وجعلها من أفضل الأخلاق والممارسات التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

والعناية بالضعفاء يكملها العناية بكل الكائنات غير البشرية، والمسلم رحيم بكل مخلوقات الله تعالى "فإذا ذبحنا علينا أن نحسن الذبح"، وتعذيب الحيوانات والطيور محرم شرعاً "وامرأة دخلت النار في قطة حبستها" والرحمة بالحيوان طريق إلى الجنة "ورجل دخل الجنة في كلب عطشان سقاه" وإن في كل كبد رطبة لأجر والإنسان مسئول أمام الله عن إطعام الحيوانات والمواشي التي يستخدمها ويقتنيها، ومسئول أيضاً عن عدم إرهاقها بالعمل - ومسئول حتى عن نظافتها، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاف أن يحاسبه الله تعالى عن دابة تتعثر في الطريق لأنه لم يسو لها الطريق وهذه الحقوق التي يتمتع بها الضعفاء في المجتمع الإسلامي لا تنصفهم فقط بل تفتح أمامهم الطريق إلي حرية التعبير .

خواطر مسلم

النقد والنقد الذاتي

النقد والنقد الذاتي أحد مكونات المشروع الإسلامي، والنقد والنقد الذاتي يبدأ هنا بالاعتراف بالحالة التي وصلت إليها أمتنا، والبحث عن أسباب هذه الحالة، وطرق التخلص منها وتجاوزها وبناء نهضتنا وسيادتنا الحضارية من جديد.

والاعتراف بما وصلنا إليه يقتضي بالطبع الاعتراف بأننا الآن في حالة هزيمة حضارية، أمام الحضارة الغربية بالتحديد، وأن بلادنا مغتصبة ومخترقة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، وخاضعة بصورة أو بأخرى للهيمنة الغربية، وأننا وصلنا إلى هذه الحالة من التفكك والانحطاط والخضوع نتيجة عوامل كثيرة ترجع إلى التآمر العالمي على أمة الإسلام وترجع أيضاً إلى تخلينا عن قيم إسلامية كثيرة وضرورية، وإلى سلبيتنا وقصر نظرنا، وترجع إلى الحكام والمحكومين على السواء، وبكلمة أخرى فإن لها أسبابها الخارجية والداخلية معاً، والنقد والنقد الذاتي كفيل بتحديد هذه الأسباب وكفيل أيضاً بوضع الحلول الصحيحة لمواجهة التحديات والسلبيات الخارجية والداخلية على حد سواء.

وللنقد والنقد الذاتي في قيمنا ومبادئنا وتراثنا الحضاري مساحة كبيرة، وأهمية خاصة، وهي من الفرائض الإسلامية والممارسات اليومية على مستوى الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة على حد سواء.

التوبة الفردية التي يمارسها المسلم في كل يوم عشرات المرات هي نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعية التي يمارسها المسلمون في صلاة الجماعة أو في الحج أو غيرها من المناسك هي أيضاً نوع من النقد الذاتي، والتوبة هنا ليست مجرد توبة عن الخطايا أو الذنوب الأخلاقية فقط، بل هي أيضاً التوبة من الأخطاء الاجتماعية والسياسية، والآيات القرآنية التي نزلت بعد غزوة أحد مثلاً تؤكد ضرورة التوبة أو النقد، ألم تكن تلك الآيات تنتقد مواقف وسلوك المسلمين .. وتحلل أسباب الهزيمة؟ وهي درس لنا لنتعلم النقد وتحليل الأخطاء الجماعية، والمرأة المسلمة التي خطأت عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وهو فوق المنبر كانت تمارس النقد، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استمع إلى هذا النقد واعترف بخطئه جهاراً وعلناً وأمام حشد من المسلمين كان يمارس النقد الذاتي ويقبل النقد في نفس الوقت ويرسي معالم النقد والنقد الذاتي وهو القائل "أصابت امرأة وأخطأ عمر".

والمسلم مرآة أخيه - أليست هذه دعوة من الرسول إلى النقد بل إلى وجوب النقد؟

"ورحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبي" تأتي أيضاً في هذا السياق ؟

والآيات القرآنية الداعية إلى التوبة الفردية والجماعية كثيرة جداً، بل إن الله يخص بحبه التوابين ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ .. (البَقرة ٢٢٢).

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .. (ص : ٣٠)

أي أن النقد الذاتي صفة من صفات الأنبياء، والله تعالى يجعل هذه الصفة من الصفات التي يستحق بها العبد أن يمدحه ربه قائلاً " نعم العبد إنه أواب".

وهكذا فالنقد والنقد الذاتي فريضة وواجب على مستوى الفرد والجماعة والأمة، سراً وعلناً .

العلم

يشكل العلم - بصورته الشاملة - عنصراً هاماً من عناصر المشروع الإسلامي، وتأتي العلوم التجريبية والتقنية على رأس أولويات النهضة الإسلامية المرجوة ذلك أن أحد أسباب هزيمتنا وانحطاطنا الحضاري يرجع إلى إهمال الأخذ بأسباب العلم عموماً والعلوم التجريبية خصوصاً، والتفوق الأوروبي الهائل علينا هو في جوهرة تفوق علم وتكنولوجيا، وصحيح أن العلم في المشروع الإسلامي يستخدم لصالح الإنسان ولتحقيق أكبر قدر من السعادة لكل البشر، ولا يكون على حساب البيئة أو الكائنات الأخرى أو موجهاً لتحقيق أكبر قدر من المنفعة اللاأخلاقية على حساب الإنسان، أو لحساب مجموعة من البشر على حساب باقي البشر كما في الحضارة الغربية التي تسببت في شقاء البشرية منذ صعودها .

ولا تناقض هناك بين الإسلام والعلم، بل إن الإسلام يحض على العلم، وقد شهدت العلوم جميعاً وخاصة التجريبية منها ازدهاراً واسعاً في ظل الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، وكانت هذه العلوم هي الأساس التي قامت عليه النهضة العلمية في أوروبا .

ولا شك أن نشر العلم والحصول على أحدث الحقائق العلمية والوسائل التقنية واجب شرعي، أياً كان مصدر ومكان هذا العلم .. "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" .. (رواه مسلم)، "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها"، وفي هذا الصدد فإننا ندرك أن الحضارة الأوروبية لن تقدم لنا العلم بسهولة لأنها تريد باستمرار أن نظل متخلفين وخاضعين، علينا أن ننتزع هذه العلوم انتزاعاً، لاحظ أن أمريكا حاكمت المهندس المصري عبد القادر حلمي بتهمة سرقة التقنية

خواطر مسلم

الأمريكية !..

وعلى كل مسلم أن يفعل ما يستطيع للحصول على العلم، ويعمل على تعليم الآخرين، لأن من يحجب العلم آثم شرعاً وبالتالي فإن التعليم هنا يصبح واجباً شرعياً وغاية لترقية الأمة والإنسانية وليس مجرد الحصول على خبرات علمية تحقق لصاحبها الكسب الشخصي والرقي الفردي أو الحصول على مركز اجتماعي أو مكاسب مادية. وتعليم الآخرين واجب شرعي كذلك، وعلينا أن نستفيد بخبرات العديد من العلماء البارزين في مختلف الأقطار الإسلامية، وكذلك ذلك الجيش الجرار من العلماء المسلمين المغتربين في أوروبا وأمريكا وغيرهما ووضع خطة طموحة للاستفادة من خبرات هؤلاء العلماء.

ويجب أيضاً أن يكون لمحو الأمية أولوية لدى المسلمين لأنه من العار علينا ونحن أمة "اقرأ" أن يكون بيننا من لا يعرف القراءة والكتابة، ورسولنا الكريم يقول "إنما بعثت معلما".

ورسول الإسلام يقرر أن ساعة من دروس العلم خير من سبعين ساعة عبادة، ومداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء، أي أن العلم والتعليم هو وحدة الذي يعادل مقام الجهاد والاستشهاد وهو مقام رفيع كما نعرف، ولعلنا نلتفت إلى المعنى المتضمن في كون أول آية نزلت من القرآن الكريم هي "اقرأ" وهي دعوة مباشرة لتقديم العلم والتعليم على ما عداه.

والآيات التي تحض على العلم في القرآن الكريم تزيد على ٧٥٠ آية في حين أن تلك المتعلقة بالفقه حوالي ١٥٠ فقط، وكذلك هناك الآيات التي تحض على السير في الأرض والنظر في علومها المختلفة كالأحياء والجيولوجيا والجغرافيا وغيرها.. "قل سيروا في الأرض فانظروا"

إنصاف المحرومين

في عالم يستأثر فيه ٢٠٪ من السكان بكل أو معظم الثروات على حساب ٨٠٪، في عالم يجوع فيه الناس بل يموتون جوعاً .. "يموت في إفريقيا وحدها ٥٠ مليون من الجوع سنوياً منهم ١٥ مليون طفل"، في عالم فيه اختلال مروع في توزيع الثروة سواء على مستوى القارات، حيث تستأثر قارات على حساب قارات أخرى، أو على مستوى الدول.

حيث تستأثر بالثروات دول على حساب دول أخرى، أو حتى داخل الدولة الواحدة حيث تستأثر طبقة على حساب طبقة، فإن إبراز اهتمام المشروع الحضاري الإسلامي بإنصاف المحرومين اقتصادياً والدعوة إلى عدالة توزيع الثروة أمر له أهميته في إقناع العالم بالمشروع الحضاري

الإسلامي، وهو أيضاً فرض شرعي علينا تجاه الأمم والشعوب والأفراد المحرومين.

ونحن مطالبون بالدعوة إلى إعادة توزيع الثروة في العالم على مستوى العلاقات الدولية وقوانين التجارة وأسعار الخامات ونقل الخبرات العلمية والاهتمام بالتدريب والتعليم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الثروة والنهضة للدول المختلفة والقارات المختلفة .

ومطالبون أيضاً داخل كل دولة على حدة بالانحياز للفقراء والمحرومين، والعمل على استعادة حقوقهم الاقتصادية والقضاء على التفاوت الطبقي ومنع استئثار طبقة بالخيرات على حساب طبقة أو طبقات أخرى وننطلق في هذا الأمر من إدراكنا بأن الثروات المتاحة في العالم تكفي جميع سكان العالم آلاف المرات وليس في هذا مبالغة .. وأن الحرمان والفقر الموجود في هذا المكان أو ذاك يرجع إلى سوء توزيع الثروة أو عدم استقلالها أصلاً ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .. (النحل١٨) وبالتالي فإنه من غير المعقول ولا من الطبيعي أن يستمر الجوع والفقر في العالم برغم كل هذه الثروات وعلينا أن نجاهد لرفع الظلم عن المحرومين أفراداً وشعوباً واستعادة حقوق هؤلاء المحرومين .

ولا شك أن الدعوة إلى إشباع حاجات الناس جميعاً أصل إسلامي واضح ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .. (الحشر٧ " وفي الحديث ليس المؤمن بالذي يشبع و جاره جائع إلى جنبه .

التخريج صحيح

المرجع صحيح الجامع الصغير

تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٣٨٢ في صحيح الجامع

والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة.. وهكذا" "إذا جاع الناس فلا مال لأحد"

"من كان عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له" .. وعدد جميع أنواع النعم. حديث شريف .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .. (البقرة ٢١٩) أي على الإنسان أن ينفق على المحرومين كل ما زاد على حاجته .. "لأخذت أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء" قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

"ما حرم فقير إلا بما متع به غني" قول لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أي الحرمان يأتي من الظلم وسوء توزيع الثروة.

خواطر مسلم

حماية الأقليات

من العناصر المهمة في المشروع الإسلامي في مستواه العام مسألة حماية الأقليات، وفضلاً عن أنها فريضة شرعية، فإنها أيضاً تعكس القيم العظيمة لحضارة الإسلام بحيث تصبح هذه المسألة نقطة جذب حضاري لدخول العالم في المشروع الحضاري الإسلامي ولاشك أن الكثير من الأقليات الدينية والعرقية والقومية في العالم تعاني الاضطهاد منذ أن سادت وهيمنت الحضارة الغربية على مقدرات العالم.

والأصول النظرية، والممارسات العملية في حضارة الإسلام تمثل أروع وأعظم ما عرفته البشرية في هذا الإطار فبداية فإن الإسلام يخدم خصوصية الأقليات ويحرص على تأكيدها ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .. (البقرة : ٢٥٦) ويدعو إلى احترام الجماعات البشرية بعضها بعضاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .. (الحجرات : ١٣) ويجعل المعيار القانوني واحداً بالنسبة للأقلية والأغلبية فلا ازدواج معايير هناك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .. (المائدة : ٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .. (المائدة :٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ .. (النساء : ١٣٥) .

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .. (الممتحنة٨ ويقول الرسول "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به".

ويقول "من ظلم معاهداً أو ذمياً أو كلفه قومه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة".

وفي هذا الصدد ننقل عن المفكر الإسلامي إسماعيل الفار وفي قوله "لقد بلغ المجتمع الإسلامي حدوداً تفوق التصور في توفير حرية الاعتقاد للآخرين، وقد حدد المسلمون تلك الميزه - حرية الاعتقاد - التي منحها الله لليهود والمسيحيين والصابئين في القرآن الكريم- حتى شملت الزرادشتيين والهندوس والبوذيين والمجوس والموالين للديانات الأخرى عندما اتصلوا بها".

ويقول الكاتب الإسلامي فهمي هويدي "لم يقتصر الأمر على مجرد حماية الأقليات وتحقيق حرية الاعتقاد للآخرين، بل تعدى إلى قيام المسلمين بحفظ التراث الحضاري للديانات الاخرى".

ويروي شكيب أرسلان في مقال له بعنوان التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي "أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال الدولة الأوروبيين فيما يتعلق بهذا الموضوع، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولو كنا قادرين على استئصالهم- ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً.

وكان إذا خطر هذا ببال أحد ملوكنا كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني تقوم في وجهه الملة ويواجهه أمثال زنبيلي أفندي على شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزيحهم عن أوطانهم فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً لشرع الله الحنيف، فيبقى بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصابئة وسامرة ومجوس وكلهم كانوا- وآخرون- لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم على من أراد البقاء بينكم أن يتنصر، ولقد كان في إسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان في جنوب فرنسا وشمالي إيطاليا وجنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هذه الأراضي أعصرا مديدة، وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام، ولقد طفت بلاد إسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم".

وفي إطار الحضارة الإسلامية، عاشت الأقليات ومارست عقيدتها وحريتها، بل شاركت في الممارسات الحضارية الإسلامية، وقد بلغ التسامح الإسلامي الديني في تجربة الحضارة الإسلامية في الأندلس مبلغاً عظيماً، ولدت أسماء مسيحية ويهودية في إطار الحضارة

الإسلامية ولعل ابن ميمون الأندلسي خير شاهد على ذلك فبرغم كونه يهودياً يعيش في مجتمع مسلم، إلا أن ذلك لم يعقه من أن يصبح مفكراً أو فيلسوفاً بارزاً.

وفي الحقيقة فإنه إذا كانت الأقليات قد مارست حريتها في ظل الحضارة الإسلامية، وإذا كانت هذه الأقليات في الشرق بالذات وفي حالة أقباط مصر على وجه الخصوص قد اندمجوا في الحضارة الإسلامية وساهموا في صنعها وازدهارها، وأصبحوا بالتالي جزءاً منها بحيث إنهم أصبحوا ينتمون إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن وإن اختلفوا في الدين والعقيدة، فإن هذا يعني أن المشروع الحضاري الإسلامي يضم المسلمين ويضم مسيحيي الشرق عموماً وأقباط مصر خصوصاً، وأن هؤلاء كالمسلمين سواء بسواء سوف يحملون قيم المشروع الحضاري الإسلامي إلى العالم أجمع. وهكذا فإن هناك مساحة واسعة لحرية التعبير للفرد والجماعة للمسلم وغير المسلم.

استقلال القضاء

لا يكون عدل، ولا تكون حرية، إلا بقضاء مستقل نزيه، ولعل كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري يمثل وثيقة هامة في هذا الصدد، (النويري. نهاية الأرب في فنون الأدب طبعة القاهرة جزء ١٩) فمنذ ما ولي عبد الله بن قيس "أبو موسى الأشعري القضاء في خلافة عمر بن الخطاب كتب إليه عمر كتابا بعدد من المحددات لتحقيق عدالة القضاء ونزاهته وقد جاء فيه :

– أن التشريعات العادلة وحدها لا تكفي، بلا لابد من قاض يحكم بها ولابد من أن يضعها موضع التنفيذ "أنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له

– أن الحق لا يبطله شيء، فإذا اجتهد القاضي وأخطأ، فإن عليه التراجع عن ذلك، مهما تقادم الزمن، وهذا التوجيه يفتح الباب لإمكانية استئناف حكم القاضي أمامه هو نفسه أو أمام غيره "لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

– أن الصلح متاح بشرط ألا يكون على حساب الحق، فالحق هو المعيار عند الصلح وعند النزاع على حد السواء "والصلح جائز بين الناس إلا ما أحل حراما أو حرم حلالا.

– أنه يجب المساواة بين المتخاصمين في مجلس القضاء، مهما كان الفرق بينهما في المنزلة العلمية أو الدينية أو السياسية أو المالية، وكذا يجب علي القاضي أن يعاملهما بحياد تام "آسي بين

الناس في مجلسك ووجهك"

- أن جميع المسلمين سواسية في الشهادة بصرف النظر عن مراكزهم الاجتماعية إلا في بعض الأمور التي تقدح في شهادتهم مثل شهادة أحدهم بالزور من قبل، أو كان قريبا لأحد الخصوم أو معروف بالولاء له "والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلودا في حد، أو مجربا علية شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة"

- استخدام الفهم والعقل فيما لم يرد فيه قرآن أو سنه "الفهم الفهم" فيما ليس فيه قرآن أو سنة.

- استخدام القياس كوسيلة من وسائل الفهم في القضاء "واعرف الأشباه والأمثال" ثم قس الأمور بعد ذلك.

- أن القضاء فريضة محكمة وسنة مُتبعة.

والقضاء في الإسلام مستقل، لا يتدخل فيه السلطان، بل هو نفسه يخضع لهذا القضاء ويكون على قدم المساواة مع الخصم أمام القاضي فقد سأل عمر بن الخطاب رجلا له قضية "ماذا صنعت فقال الرجل قضي على بكذا، قال عمر لو كنت أنا لقضيت بكذا قال صاحب القضية فما يمنعك والأمر إليك، فقال عمر لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه لفعلته، ولكني أردك إلى رأيي، والرأي مشترك" .. (ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - طبعة دار الشعب القاهرة).

وأخذ النظام الإسلامي بمبدأ فصل السلطات، فجعل للقاضي وظيفة غير وظيفة التنفيذ ما لم ينص على ولاية خاصة في أمر ولايته قال أحمد بن إدريس القرافي في الذخيرة (نقلا عن عباس محمود العقاد الديمقراطية في الإسلام نهضة مصر القاهرة ط ٢٠٠٥)" ولاية القضاء متبادلة لحكم لا يتدرج فيها غيره، وليس للقاضي السياسية العامة ؛ لا سيما الحاكم الذي لا قدرة له على التنفيذ، وأما قوة التنفيذ فأمر زائد على كونه حاكما، فقد يفوضه إليه التنفيذ وقد لا يندرج في ولايته، وليس للقاضي قسمة الغنائم وتفريق أموال بيت المال على المصالح وإقامة الحدود وترتيب الجيوش وقتال البغاة.

وكان الخلفاء يقترون على أنفسهم ويوسعون في أرزاق القضاء، فكان رزق سليمان بن ربيعة الباهلي في عهد عمر خمسمائة درهم مُشاهرة وكذلك كان رزق شريح في عهد علي، وجرت سنة الخلفاء بعدهم على التوسعة في أرزاق القضاة وترجيهم على الولاة ... ومن الآداب المطلوبة للقاضي "ألا يشتري بنفسه ولا بوكيل معلوم حتى لا يسامح في البيع" وكان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يقول "تجارة الولاة مفسدة وللرعية مهلكة، فكان يغني القضاة بسعة الرزق عن التكسب والاتجار" .. (نقلا عن عباس محمود العقاد - نفس المرجع السابق).

وثائق

١- خطبة أبي بكر الصديق بعد توليته الخلافة :

أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني .. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه أن شاء الله .. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء .. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .

أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وأني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله صل الله علية وسلم، يطيق .. إن الله اصطفي محمد على العالمين، وعصمه من الآفات .. فإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني .. وأن رسول الله قبض، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمطلب، ضربه سوط فما دونها، ألا وإنما لي شيطان يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قومًا نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم؛ الجد الجد، والوحي الوحي ، والنجاة النجاة، وإن وراءكم طالبا حثيثًا ، أجلا مره سريع.واحذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبط به الأموات .

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فطاعة أتيتموها، وحظ ظفرتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، واعتبروا يا عباد الله بمن مات منكم، وفكروا فيمن كان قبلكم

أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟! أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة ومواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما ، قد تركت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات.وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ، قد بعدوا ، ونسى ذكرهم، وصاروا كلا شيء .. ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفًا بعدهم، فإن نحن

اعتبرنا بهم نجونا .. أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم .

أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزا ؟!.. أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا، فحلوا عليه، وأقاموا للشقوة أو السعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف به عنه شراً إلا بطاعته واتباع أمره. واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته .

ألا وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة .. والله، سبحانه وتعالى أعلم .

٢- خطاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الاشعري :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن قيس .. سلام عليك .. أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة

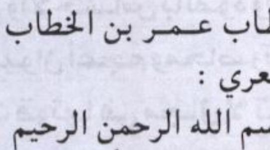

متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعي، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .. ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء .. وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة .. واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعد ذلك، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما تري .

اجعل لمن ادعي حقا غائبا أمدا ينتهي إلية، فإن أحضر بينة أخذ بحقه، وإلا استحللت عليه القضاء .. والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلوداً في حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة .. إن الله تولي منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات .. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شنأه الله .. والسلام .

د. محمد مورو

شهريـــــات

رسالة أميركا

مصر الهرة الحبيسة

في الحديث الشريف ، "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار، قال الله : لا أنت أطعمتيها ولا سقيتها حين حبستيها ولا أنت أرسلتيها فأكلت من خشاش الأرض" .. لم ينصب أحدا تلك المرأة عائلاً علي الهرة .. ولو أن الهرة سألتها مطعما أو مشربا فطردتها من علي بابها لربما نجت المرأة من عذاب النار وإن هي أطعمتها وسقتها فإن في كل كبد رطبة أجرا .. لكن الرغبة في التسلط والإحساس بالقوة والمقدرة في مواجهة مخلوق ضعيف دفعها إلي فرض إرادتها علي حيوان أعجم ومحاصرته حتى لا يكون له من مفر منها إلا إليها .. كما أن المرأة استخدمت قوتها في مجال لا تتكافأ فيه القوى لترهب الهرة وتروعها حتي أفقدتها فطرة حب البقاء .. كذلك فإنها استغلت ما من الله به عليها من قدرات الحركة والتدبير والكيد لتحبس مخلوقا أقل منها حيلة ليس في قدراته الجسدية أو العقلية ما يخول عليه التحايل علي الوضع فيفسح لنفسه فرصا للهرب. ثم إن المرأة التي جحدت أنعم الله عليها إذ عمدت علي احتجاز الهرة فترة، كافية لأن تفقدها غريزة البحث عن طعام أو شراب حتى لو أنها أطلقتها قبل أن تموت علي يديها. وأمام ذلك التسلط والجبروت لم يكن بوسع الهرة إلا المواء احتجاجا علي طغيان المرأة المتسلطة فالحيوان غير قادر علي الاستجداء ولا المراءاة .

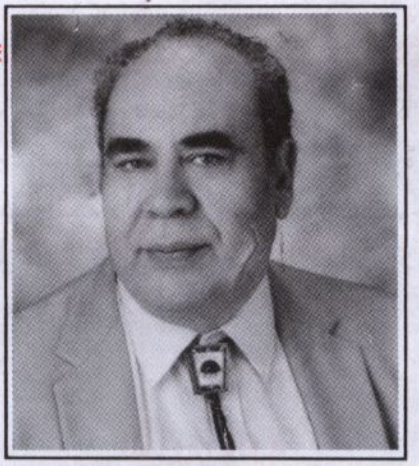

د.عبدالفتاح الحسينى

هذه الصورة للمرأة والهرة الحبيسة تمثل الواقع المرير الذي عاشه شعب مصر علي مر سنين طويلة .. حيث يضاهي حال سواده الأكبر حال الهرة المحبوسة التي أعاقها الحبس عن السعي إلي رزقها ، بينما تمثل المرأة الجاحدة السلطة المتوغلة التي تطمح إلي إستتباب سلطانها بأن تحجب عن الناس ما قدره الله لهم من أرزاق، وبالحرص علي حرمانهم من خيرات الطبيعة التي من الله بها علي خلقه، وبالسعي جاهدة إلي إنتزاع قدرتهم علي الانتفاع بما يحيط بهم من مصادر الرزق. وأحسب أن الهرة علي ضعفها لم ترضي، ولو أن الفرصة أتيحت للهرة للدفاع عن نفسها لخدشت وجه المرأة وعضتها لكن المرأة بلا شك مارست سطوتها عن بعد وجبنت عن مواجهة من فرضت عليه سلطانها .. لكن الشعب الذي حبي بملكات العقل والحيلة والقدرة علي مقارعة الكيد بالمكيدة والذي يستمد قوته من عدده ولحمته لو أنه استسلم لحق عليه قول الله تعالي في سورة النحل ؛ الآية : ١١٢) ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ .

إن دوام شكوي الحكومات من تكاثر الناس وعجزها عن توفير الطعام والسقيا لهم وعن ملاحقة الأفواه العديدة المفتوحة التي تتهافت علي الطعام دون أن تشبع، ما هو إلي غرور بقدرتها علي التحكم في أرزاق العباد. والواقع أن قوانين الدولة ولوائح الحكومة وتشريعات المجالس المحلية هي التي تحبس الناس عن الأكل من خشاش الأرض بينما تحجب عنهم مؤسسات الدولة كل السبل للخروج من ضيق المعيشة فتمن عليهم بما تجود عليهم به من فتات العيش تحت بند دعم الخبز المعمر بالدقيق المسرطن الذي لا يعلم إلا الله مكوناته وما يترتب علي تناولها من معقبات. كما أنها تحول بينهم وبين الحصول علي مأكل ومشرب من مصادر غير تلك التي تتحكم فيها ويحتكرها الأفاقون من أصحاب السلطة ومن ملأ رئيسهم وأهله وعياله ممن لا يراعون في الخلق إلا ولا ذمة .

هذا كله رغم أن الله يعطي الكل بلا حساب. يقول الله تعالي في سورة هود ..(الآية : ٦) ﴿وما من دابة في الأرض

إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ ؛ وفي سورة العنكبوت (الآية : ٦٠) ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ .. وفي حديث قدسي : "يقول الله عز وجل : يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم وكلكم مذنب إلا من عافيت فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة، لو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل

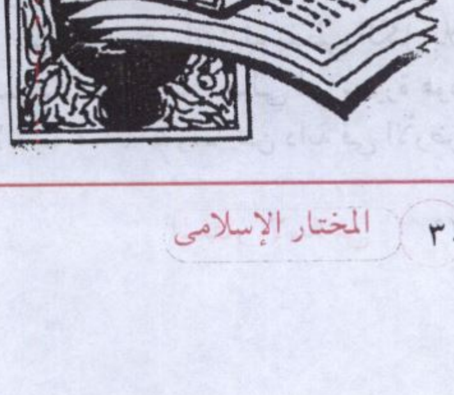

منكم ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له: كن فيكون" .

الثروة المائية

مصر محاطة بسواحل طويلة علي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر إلي جانب نيل يجري من جنوبها إلي شمالها ودلتاه، ناهيك عن البحيرات التي تسعى الحكومة لردمها لتمليكها لأصحاب الكروش التي لا تمتلئ والنفوس التي لا تشبع إلا بردم من تراب .. ولو أن كل مصري ذهب بسنارة أو شبكة إلي شط البحر أو النهر أو الترعة لاصطاد طعام يومه، ولو اجتهد لحصل علي ما يفيض علي حاجته بما يمكن أن يقايض به علي خبز وملبس. يقول الله تعالي في سورة النحل (الآية : ١٤) ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .

ومع ذلك فإن القوانين القائمة تضع العراقيل أمام الصيادين الصغار أصحاب القوارب البسيطة من احتراف مهنة الصيد وقد تعاقب الشخص العادي أبو سنارة علي جريمة الصيد دون رخصة أو الصيد في مكان محظور فيه السعي إلي الرزق .

هذا لأن الحكومة تدعم المحتكرين من أقارب ومحاسيب من في يدهم السلطة للسيطرة علي ما ينزل في السوق من أسماك وعلي أسعار ثروة مصر البحرية التي يمكن أن توفر الغذاء لنصف الكرة الأرضية ويزيد .. كما أن المسئولين يفضلون فتح مياه البحر للأسطول الروسي والأساطيل الأجنبية وشراء الأسماك الغير صالحة للاستهلاك الآدمي منهم مثل سمك الشاخورة الذي يعيش علي نفايات البحر فيكسبه غذاءه رداءة في المذاق .. إذ أن هذا يفسح أمامهم فرص جمع الرشاوي وحصول أصحابهم علي عمولات هائلة من استيراد أسماك مصرية .

والذي يزور حلقات السمك في المكس والأنفوشي وأبو قير بالإسكندرية ويقارن بين ما كانت عليه وما هي عليه في ظل فساد المحاسيب لوجد أن الصيادين قد افتقروا بعد غني وأن شخصا واحدا لم يكن صيادا ولم ينتمي للبحر من قريب أو بعيد هو الذي يسيطر علي محاصيل السمك ولا يقدر غير سفيه علي منافسته ولو بالحصول علي قوت يومه، وكل مؤهلاته البحرية أن الحظ حالفه فتزوج من راقصة لها حظوة عند أولي الأمر .

والحكومات المتعاقبة لم تجرم الصيد ولم تردم موارد الثروة البحرية فحسب بل أعطت الناس سمكا نتنا ورديئا وسرقت منهم البوصة والسنارة والشبكة وهزمت فيهم فطرة البحث عن الرزق فاستسلموا ينظرون إلي الماء فيرون الأسماك تسبح طليقة أمام أعينهم والصخور تثري بالطعام الداني القطوف لكن الإحباط وتدني الهمة أسبغ عليهم الشعور بالعجز علي قطفه حتى لو تضوروا جوعا .

وهكذا حرم المصري الحبيس من حرية أن يأكل مما تفيض به عليه مياه بحوره وأنهاره وبحيراته وبركه من رزق .. وإن لم تضن عليه السلطات التي حبسته بالطعام كما فعلت المرأة مع الهرة لكنها قدمت له سموما تسرع في القضاء عليه فإذا ما أمسك عنها عن علم بأضرارها فإنه سيموت من الجوع وإذا أكل تحت ضراوة الجوع فإنه مقدم علي انتحار بطيء. هذا بينما يتقاضي حامل مفاتيح الزنزانة عمولة علي ما يقدمه للمحبوس من مطعم ومشرب ليثري .

الدواجن

تقوم الحكومة بملاحقة الفقراء ممن يقومون بتربية الدواجن لاستهلاكهم العائلي بدعوى مكافحة إنفلونزا الطيور وبقدرة قادر تتكاتف وزارة الصحة والإعلام الموجه والأمن المركزي مع مستوردي الدجاج الميت أو المصاب بأمراض خطيرة والذي يباع مجمدا حتى لا يشم المشتري رائحته النتنة، والذي يحمل عادة بكتيريا السالمونيلا القاتلة .. كما أنه يحقن بالماء الذي يغسل فيه عند إزالة ريشه ويجمد بما غمر فيه من ماء فاسد

مليئ بالدم ونفايا الأمعاء فيكاد يصل وزن الماء الملوث في الدجاج أكثر من وزن ما فيه من لحم .

وتقوم قوات السلطات الرادعة بحملات مستميتة لملاحقة سكان العشوائيات والمقابر والقبور السكنية ممن يشاطرون المعيشة مع ما يربونه من الدواجن بدعوى خطورة تفشي وباء إنفلونزا الطيور وحرصا علي صحة أولئك الذين ينعمون بمساكن تشاركهم فيها الصراصير والفئران والقمل والبق المضاجع، وتكاد أسقف الغرف أن تتقوض علي رؤوسهم. ومن المضحك قيام الإعلام بالهجوم علي أولئك الذين يعانون الجوع والمرض وقلة الحيلة بأنهم جهلة لهم عادات غير متحضرة، لا يستجيبون لتحذيرات حكومة يدمي قلبها الرهيف عليهم .. ولا تتهاون السلطات في إعدام الدجاج وحبس أم تربي ثلاثة دجاجات لتطعم أولادها لأنها لا تستطيع شراء الفراريج المثلجة رغم أن الحال قد تردي بها حتى أنها تفضل الموت بالإنفلونزا عن أن ترى أطفالها يموتون من الجوع أمام عينيها. وفي حديث شريف عن ابن عمر : "الدجاج غنم فقراء أمتي"؛ لكن لصوص الدولة لا يريحهم أن يذوق الفقير لحما دون أن يغنمون من إتاوة يفرضونها عليه .. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال "أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ الغنم، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج، وقال عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى" .. ورغم أن الحديث ضعيف إلا أن فيه عبرة للتأمل .

وكم من مرة أطلقت فيها الشائعات عن أمراض الطيور للضرب علي يد من يجسر علي منافسة مستوردي الدجاج وحرمان أولاد الرئيس من حصتهم في تلك التجارة الرائجة؛ حتى لو كانت تربية الدواجن علي نطاق ضيق في محاولة للاكتفاء الذاتي؛ لأن ذلك قد ينقص بضع قروش من حصيلتهم التي ينهبونها بالمليارات من قوت الشعب .. فما بالك بالخسارة التي تلحق بهؤلاء لو أن الشعب استعاد وعيه وحكمته فامتلأت أسطح المنازل بعشش الفراخ، كما كان الحال في الماضي؛ ولو أن الناس تغلبوا علي العنجهية الزائفة التي يغذيها الإعلام لحساب أصحاب المحطات الفضائية من تجار الموت والفقر والجوع ووجدوا أن الحكمة تقتضي الاستغناء عن خدمات اللصوص والقيام بتربية الدواجن في البلكونات وأروقة المنازل؛ ولو أن الفلاح استعاد همته فربي لحوم الطير والغنم والماعز أمام داره وفي حقله ولم يعد يبالي بوصفه أنه فلاح غير متحضر وجاهل .

والغريب في الأمر أن مستوردي الدواجن الذين يتصدرون حملات تهويل وباء أنفلونزا الطيور هم أنفسهم الذين يستوردون من دول قد وصل فيها المرض إلي وباء مستشري .. كما أن الملاحقة

تقتصر علي المحرومين من مذاق اللحم .. ولا تتطاول يد القانون علي أصحاب مزارع الدجاج التجارية الضخمة، التي تملكها عصابات السطو التي تحميها الدولة والذين يزودون السوق بدجاج محقون بالهرمونات والمضادات الحيوية ويطعمونها بالنفايات الحيوانية والبشرية التي تؤثر علي صحة من يتعاطاها، ناهيك عن أن لحمها محرم شرعا لأنها تدخل في عداد الجلالة .

كما أن مصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي لم تقاطع الدواجن البلجيكية التي حظر الاتحاد الأوروبي بيعها في السوق الأوروبي لأن جشع أصحاب مزارع الدواجن في بلجيكا بلغ بهم حد تسمينها بمزج طعامها بعادم زيوت السيارات المحمل بنسب عالية من مادة الديوكسين القاتلة، لما فيه من مواد دهنية. بل إني لن أنسى ما حييت ما رواه أحد أصحاب المزارع الكبرى للدواجن في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية في بداية العقد الثامن متندرا بأحداث مبكية. فقد مرت بالمنطقة موجة حر شديدة هلك معها آلاف الدجاج في أقفاصها، ولم يروع صاحب المزرعة ما سيخسره من عدم بيع ثروته الدجاجية قدر ما ستكلفه عمليات تنظيف المزرعة الشاسعة وإعدام الطيور الميتة بصورة تسمح بها السلطات المحلية .

وجاءته النجدة في صورة مصري من ذوي الحيثيات والاتصالات فعرض عليه شراء حصيلة مزرعته والمزارع المجاورة من الدواجن بنصف سعر الدجاج في السوق. وبالطبع لم يدرك المصري الجشع بغبائه المعهود في أثرياء عهد العسكر أن تجار الدواجن كانوا علي استعداد أن يدفعوا له أموالا ضخمة لقاء تخلصهم من الدجاج الميت الذي بدأت رائحته النتنة تفوح، مما يثير المخاوف من انتشار الأوبئة. وحذره الأمريكي بأن الرقابة الصحية قد تصادر الشحنة لكن المصري أكد أن الرقابة المصرية في جيبه وعلي الأمريكي مساعدته في إجراءات الخروج من أمريكا .. وتمت الصفقة وقام الأمريكي بمساعدته اللوجستية في تعبئة الفراريج في أكياس نايلون كتب عليها "حلال ذبحت علي الطريقة الإسلامية" .. ووصلت الحمولة إلي بر مصر بأمان ومات من مات ممن أكل منها، وعمر مستورد الدواجن خزانته بالملايين التي فر بها إلي أوروبا .

والأعجب في الأمر أن الأوروبيين والأمريكيين يفضلون دجاج المراعي المفتوحة أو الدجاج الحر حتى لو كان سعره أضعاف سعر دواجن الأقفاص. ودواجن المراعي المفتوحة هي التي تجري تربيتها علي الطريقة الريفية المصرية حيث يطلقها أصحابه أمام البيت لتأكل من الأكل الطبيعي .. ولم يوجد حالة مرضية واحدة تنتقل بالعدوى للبشر من الدجاج الحر بينما تنتشر جميع أمراض دجاج الأقفاص مما يشكل أذي علي الناس. كل ما هناك

أن الدجاج الحر قد تلحقه الشوطة التي يعرفها أهل القري فتنفق منهم مجموعة كبيرة في ساعات قليلة .

وهكذا حرم أصحاب الخزائن المصري الحبيس من الطعام ومنعوه حتى من أن يذوق اللحم الذي حصل عليه ورعاه في حضنه حتى أهلكوه حرصا عليه من وباء قد يرديه، كمثل حال المرأة التي حبست الهرة ولم تطعمها أو تسقيها فماتت لأنها لم تطلقها من محبسها خوفا عليها من الكلاب المسعورة أو من هجوم الطيور الجارحة عليها .

الزراعة

لقد حرم المزارع المصري الحبيس من استخدام أرضه وفق رغباته ووفق ما يحقق له ولأولاده المصلحة بعد أن كان يأكل مما تجود به أرضه عليه. بل كان يخصص جزءا ولو ضئيلا لما يحتاجه من خضروات وفواكه إلي جانب البرسيم والعلف للبهائم والأغنام والطيور التي كان يحرص علي تربيتها لتزود عياله باللحم. وكان الفلاح علي قلة ما في جيبه من أوراق نقدية يتمرغ في خيرات الأرض وينعم بلقمة هنية وسقية ترويه ومأوى يلجأ إليه ليريح عظامه بعد يوم شاق في الحقل؛ دون حاجة لمخلوق يسعى إليه بمسألة. وكان يبيع ما يفيض عن حاجته في سوق حرة مفتوحة يملك الحق في تحديد ما يبيع ولمن يبيع وله الكلمة العليا في تحديد الوقت الذي يبيع فيه ما أنتجت أرضه فإذا خسر فلا يلومن إلا نفسه وإذا كسب فلا يجني الخير سواه.

تلك الاستقلالية لم تكن لترضي أصحاب السلطان والهيلمان ولا ملئهم من العاطلين الذين يبنون قصورهم علي أجداث العامة ويكونون ثرواتهم من دماء الشعب وعرقه. وبهذا تسارعت السلطات إلي مواجهة آخر معقل للحرية بدعوى الاهتمام بالفلاح والعمل علي الرقي به فزودته بسماد تتردي به خصوبة أرضه وتقاوي مسرطنة ومياه ملوثة لتفسد عليه جودة محصوله .. ولم تقف عند هذا الحد بل أصبحت تملي عليه ما يزرع ولمن يبيع ومتي يبيع. وتكالبت علي الفلاح وعلي عياله وسائل إعلام موجهة وأولته الاهتمام وزارات زراعة وري وصحة، حتى أصبح يشتري رغيف العيش الذي لا يؤكل ويعزف عن تربية اللحوم وزراعة حاجته من غلال وخضروات وفاكهة .

وبهذا أصبح سواد الناس في الريف المصري أسري إمرأة متجبرة تتمثل في السلطة التي يتحكم فيها أصحاب المنافع فعاقوا الفلاح عن زراعة ما يمكنهم استيراده بعمولة تدخل جيبهم وأرغموه علي زراعة ما يصدرونه ويتقاضون عليه عمولة يعمرون بها خزانات يكنزون فيه حصيلة عرق الفلاح ونتاج جهده. وبهذا حبسوا الفلاح في أرضه فلا هم أطعموه وسقوه ولا هم أطلقوه ليأكل من خشاش الأرض .

ومع التضييق علي أهل الريف وعمليات غسيل المخ التي جعلت كلمة فلاح سبة في حق من كان يمول مصر بسلة الطعام، هاجر الفلاحون إلي المدن متجردين من ماضيهم الذي خبروا فيه حرفة الزراعة والمتعة بالخضرة والماء .. وكان أهل المدن يتمتعون بالحدائق الغناء التي لا تبخل عليهم بفاكهة أو خضروات يطعمونها .. وكانت المدن محاطة بأراض مصطصلحة. لكن كل ذلك زال، فبمباركة من السلطات القابضة سرعان ما تحول خشاش الأرض في المدن إلي طوب وحجر وأكوام من الخرسانة وعشوائيات يتعسر أكلها، وجحور يحبس فيها الناس وتدفن معهم أرزاقهم .

الباعة المتجولون

الحكومات المحلية والمركزية المتعاقبة لا هم لها سواء عن طريق اللوائح التنظيمية للمدن أو عن طريق ملاحقات رجال الأمن إلا استعراض عضلاتها علي الباعة المتجولين وباعة الرصيف. ولم يتهاون الإعلام؛ الذي ينخر في أدمغة الناس، في أداء دوره التضليلي في هذا المجال زاعما أن ذلك من علامات التخلف وأن الدول المتحضرة لا تسمح للتجار بالبيع سوى في المولات الضخمة التي تمثل المركز الحضاري للدولة، أما قوات الأمن ومافيا الشرطة فتؤدي دورها العريق في خدمة الشعب بمطاردة كل من تخوله نفسه ببيع أي سلعة خارج الحوانيت والمولات فتركله وتشهر عليه هراواتها وتفرض علي المقتدرين منهم إتاوة مقابل التغاضي عنهم لساعات معدودة من نهار .

ومن مسوغات تعقب الباعة المتجولين الذين يطوفون علي المناطق السكنية أنهم يقلقون راحة الناس خاصة في ساعات القيلولة رغم أن الباعة كانوا يضبطون توقيتهم وفق أوقات الإقبال علي ما يبيعونه من البضائع المختلفة؛ حتى أنه كان من الممكن ضبط الساعة علي مرور بائع الخضار والبصل وبائع اللبن وبائع الزغاليل وبائع الحلوي والتسالي .. ومع كل تلك الحيثيات لمنع هذا اللون من التجارة فإن كل أجهزة الدولة تتغاضي عن السيارات المتهورة التي تسرع كالبرق في الشوارع الضيقة وتثير الهلع في النفوس ليل نهار من أصوات الأبواق البغيضة، واستخدام مكبرات الصوت للدعاية الانتخابية أو للاحتفال بطهور ابن الباشا حيث تشارك الشرطة بكل رضي وأريحية في إزعاج خلق الله، وغزو مضاجعهم .

ولعل من أجمل ذكريات الطفولة هو البهجة التي كان يدخلها الباعة المتجولون علي أطفال الحي الذي كنت أعيش فيه في الاسكندرية وسط جيران من الخواجات الطليان واليونان وعلية القوم من المصريين، وما زلت أذكر نداءات بائع الفريسكا والباريوش، وبائع السوداني والحمص واللب، وبائع الجرانيطة والجيلاتي

والكاساتا، وبائع الترمس بما علي عربته من قلل قناوي فيها مياه باردة وعلي فم القلة نعناع. وكان شكلها يغري بالشرب ولكن الوالدة كانت تحذرني، فاكتفيت بقرطاس الترمس والفول المحمص وأحيانا الحلبة المنبتة .. ولم يكن أطفال الناحية يهتمون بما ينادي عليه الباعة الآخرون الذين يدفعون عربات اليد أو الذين يجلسون علي عربة يجرها بغل أو حتى الذين يحملون علي رءوسهم البضاعة في أقفاص مرتجلين أو علي دراجة. ولكن كثيرا من أطفال الحي كان يعمل كضابط مراقبة لينبيء أمه بوصول بائع الحمام أو الخضار أو الجوافة وما إلي ذلك من سلع لا تدخل في عداد المأكولات لدي الأطفال .

ومما علق في الذاكرة من أيام الطفولة هزيج غناء بائع الدندليون الذي لم أكن أتقاعس يوما عن الخروج إلي الشارع ومشاهدته وهو يترنح علي حماره مستعرضا نبرات صوته وعلي العربة الكارو أكوام من الزهور الصفراء ذات العنق الأخضر، وظللت علي جهلي بما يفعل الطليان بذلك الزهر الذي كانوا يقبلون عليه بشغف .. وفي أول زيارة لي لإيطاليا تيسر لي أكل شوربة الدندليون بالحمص اللذيذة، وشاهدته كنبات ينتشر بغزارة في حدائق البيوت .. وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر الدندليون من آفات النجيل الذي يحيط بساحات البيوت حيث أنه إن لم يقلع من جذوره ينتشر كالهشيم ويقضي علي جمال البساط الأخضر الجميل .. والمهتمين بنسق النجيل دون الالتفات للقيمة الغذائية والصحية للدندليون لا يتورعون عن مكافحته بمبيدات الأعشاب .. ونظرا لشحه خارج مهده الطبيعي حول البيوت والحدائق فإن شوربته تقدم في المطاعم الفاخرة .

وما زال الطفل الأمريكي يقفز من أحلي نومة عندما تهزج مسامعه الأجراس الموسيقية لعربة الأيس كريم وهي تمر أمام بيته. أما أول مغامرة تجارية يتدرب عليها الأطفال في حياتهم فهي نصب منصة لبيع الليمونادة أمام البيت في الصيف، وقيام البنات ببيع ما يسمي بسكويت بنات الكشافة. هذا إلي جانب بعض تجار اللحوم والنقانيق وأكل التسالي الذين يدورون في الشوارع في المناطق السكنية في مواقيت محددة ولهم زبائن يتصلون بهم بالهاتف ليتوقفوا علي بيوتهم قبل دورتهم في المنطقة .

أما المناطق السياحية فتكتظ بالباعة الجوالة الذين يبيعون الهوت دوج وغزل البنات والفشار والعصائر، ولا يكاد يخلو رصيف من نصبة تاجر خاصة في وسط المدن الكبري مثل نيويورك، وإن كانت البلدية تصر علي ضرورة الحصول علي تصريح لمنع تهربهم من دفع الضرائب المحلية. بل إن بعض المولات تسمح لهؤلاء بالتواجد فيها لقاء إيجار للمكان الذي يشغلونه .

ونتيجة لضغوط من أصحاب المحلات الكبري والمولات علي الحكومات المحلية صدرت بعض اللوائح التنظيمية لباعة الرصيف، لكنها لا تستطيع التعرض للبائع الذي لا تقدم ضده شكوى من ملاك الأراضي التي يتواجد علي رصيفها وكذلك البائع الذي يشتري قطعة أرض علي الشارع العمومي. ولحل المشكلة لجأت المدن إلي تخصيص مساحة واسعة من الأرض لأولئك البائعين لعرض بضائعهم علي الناس إما في أيام محددة كما كان يفعل أهل الريف في مصر في سوق الأربعاء وسوق الجمعة، أو كمقر شبه دائم لمن يريد البيع للجماهير، كما هو الحال في باريس ولندن .. وهناك كثير من الأمريكيين مثلي يفضلون الشراء من هؤلاء الباعة خاصة الخضروات والفاكهة نظرا لجودة ما يبيعون وطزاجته مقارنة بالمحلات التي تلجأ إلي الصبغات لتجميل ما تبيعه من فواكه غير ناضجة أو فاسدة .

د. عبد الفتاح الحسينى
الولايات المتحدة الأمريكية

مصر و (إسرائيل)

وحكاية الحرب والسلام

محمد سيف الدولة
Seif_eldawla@hotmail.com

قال موشى ديان أن أهداف العدوان على مصر هى :

١- تحطيم القوات التى تحاول إخضاعنا

٢- تحرير ذلك الجزء من أرض الوطن الذى يحتله الغزاة

٣- تأمين حرية الملاحة فى مضايق تيران وقناة السويس .

كما قال أثناء العدوان "أن قواتنا الجنوبية تحارب الآن عبر الحدود للقضاء على جيش النيل وحشره فى أرضه" .

***

وقال مناحم بيجين بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر عام ١٩٧٩ : "سنضطر إلى الانسحاب من سيناء لعدم توافر طاقة بشرية قادرة على الاحتفاظ بهذه المساحة المترامية الأطراف .. سيناء تحتاج إلى ثلاثة ملايين يهودى على الأقل لاستيطانها والدفاع عنها .. وعندما يهاجر مثل هذا العدد من الإتحاد السوفيتى أو الأمريكتين إلى إسرائيل سنعود إليها وستجدونها فى حوزتنا".

***

هذه السطور أكتبها للجيل الجديد، محاولا فيها أن ألخص حكاية صراعنا مع العدو الصهيوني، لعلهم يحفظوها عن ظهر قلب، ويتمموا ما بدأه آباؤهم وأجدادهم .

المقدمات :

زرع الاستعمار الغربى، الكيان الصهيوني في فلسطين منذ بدايات القرن العشرين وأعطاه دولة باطلة عام ١٩٤٧، ودعمه فى الحرب ضدنا عام ١٩٤٨، وهى الحرب التى أسفرت عن اغتصاب ٧٨ ٪ من أرض فلسطين .

ثم قدم له كل أنواع الدعم المالي والعسكري على امتداد أكثر من ٦٠ عاما

لتمكينه من الانتصار علينا واغتصاب مزيد من أراضينا .

ولقد وقفت مصر منذ البداية مع كافة إخوتها من الأقطار العربية صفا واحدا، ضد المشروع الصهيوني وكيانه، فما كان منه إلا أن قام بالعدوان علينا عدة مرات في ١٩٥٥ و١٩٥٦ و١٩٦٧

ولقد نجح العدو للأسف الشديد بسبب أخطائنا الكبرى، في الاستيلاء عام ١٩٦٧ على سيناء والجولان وغزة والضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية .. وهى الهزائم التى لا نزال نسدد أثمانها الفادحة حتى يومنا هذا .

ولكن شعبنا الكريم في مصر وباقي الوطن العربي رفض قبول الهزيمة ورفض شروط الأمريكان لاستعادة سيناء وبعض الأراضى المحتلة .

وكانت شروطهم ان نعترف بإسرائيل وننسى فلسطين ونتعايش مع الكيان الصهيوني، ونقبل وجوده بيننا إلى أبد الآبدين .

وفى الخرطوم اجتمع القادة العرب فى أول سبتمبر ١٩٦٧ واتفقوا جميعا على مواصلة القتال، وعلى عدم الاعتراف بإسرائيل وعدم الصلح او التفاوض معها .

وتفرغت مصر شعبا وجيشا للإعداد للمعركة، ونجحت بفضل الله فى تفجير حرب التحرير فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وهى الحرب التي أثبتت للصهاينة والأمريكان إننا أمة باقية لا يمكن إفناؤها.

ولكن ما حدث بعد الحرب جاء مخالفا على طول الخط لما اتجهت إليه إرادة الشعب وإرادة الأمة على امتداد قرن من الزمان واليكم التفاصيل :

خلاصة حرب اكتوبر وما بعدها :

– ٦و٧و٨ أكتوبر عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس فى عمل بطولي خارق أذهل العدو والعالم أجمع ونجحت بالفعل فى تحرير شريط بعمق متوسط من ١٠ – ١٢ كم شرق القناة محققة هذا النجاح بواسطة ٨٠ ألف مقاتل .

– ١١ أكتوبر أصدر الرئيس السادات قرارا بتطوير الهجوم داخل سيناء معللا ذلك برغبته فى تخفيف الضغط على سوريا .

– ١٤ أكتوبر تم تنفيذ القرار وذلك بدفع الفرقتين المدرعتين ٤ و٢١ الاحتياطيتين من غرب القناة إلى شرقها .

– ١٦ أكتوبر استغل العدو الوضع الجديد الذي كشفته له طائرات التجسس الأمريكية، ونجح في عمل ثغرة بين الجيشين الثاني والثالث وعبر بقواته إلى الضفة الغربية للقناة وحاصر الجيش الثالث ومدينة السويس .

– رفض الرئيس السادات القضاء على الثغرة خوفا من تهديدات كيسنجر طبقا للتصريحات التى أدلى بها فيما بعد .

– ٢٠ اكتوبر طلب الرئيس السادات وقف إطلاق النار .

– ٢٢ أكتوبر صدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار .

– من ١٠/٢٢ إلى ١٠/٢٨ لم يلتزم العدو بالقرار .

- ٢٨/ ١٩٧٣/١٠ تم الإيقــاف الفعلي لإطلاق النار

- بدأت الضغوط الأمريكية على القيادة السياسية المصرية للقبول بشروط انسحاب القوات الإسرائيلية من الضفة الغربية للقناة .

- ١٩٧٤/١/١٨ خضعت مصر للضغوط وقبلت الشروط الأمريكية الإسرائيلية، ووقعت مع إسرائيل الاتفاق الأول لفض الاشتباك والذي بموجبه وافق السادات على ما يلي :

١- سحب ٧٠ ألف جندى مصرى من سيناء فى شرق القناة وإعادتهم مرة أخرى إلى مواقعهم قبل العبور .

٢- مع الإبقـاء على ٧٠٠٠ جندى مصري فقط فى سيناء .

٣- سحب اكثر من ١٠٠٠ دبابة مصرية من شرق القناة وإبقاء ٣٠ دبابة فقط .

٤- منع وجود أى صواريخ بعمق ٣٠ كم غرب الخط المصرى .

٥- وقد سجل الجمسى اعتراضه، ولكن تم توقيع الاتفاق بأوامر من القيادة السياسية .

١٩٧٥/٩/١ وقع السادات اتفاق فض الاشتباك الثانى مع العدو الصهيونى والذى كان اهم ما جاء فيه :

١- إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل وذلك باتفاق الطرفين على أن النزاع بينهما لا يتم حله بالقوة المسلحة .

٢- قبول مصر بدخول مراقبين أمريكين مدنيين إلى سيناء لأول مرة لمراقبة تنفيذ الاتفاق وهو ما أصبح قاعدة لما حدث فيما بعد فى اتفاقية السلام حيث أسندت مهمة الإشراف على القوات المتعددة الجنسية الموجودة الآن فى سيناء إلى الولايات المتحدة الأمريكية (خرج الصهاينة ودخل الأمريكان) .

١٩٧٧- ١٩٧٩ مفاوضات السلام بين مصر وإسرائيل تحت الرعاية الأمريكية .

٢٦ مارس ١٩٧٩ توقيع معاهدة سلام مع العدو الصهيوني بمقتضاها تنسحب قواته من شبه جزيرة سيناء بشرط :

١- تجريد ثلثى سيناء المجاور لفلسطين (إسرائيل) من اى قوات مسلحة مصرية .

٢- وبشرط تقييد وجود وسلاح القوات المصرية فى الثلث الباقى من سيناء

المجاور لقناة السويس بما يوازى ربع القوات التى عبرنا بها بدمائنا فى حرب اكتوبر، والتى قبل السادات بإعادتها فى ١٩٧٤/١/١٨ كما تقدم .

٣- وبشرط أن تقوم قوات أجنبية غير خاضعة للأمم المتحدة تحت قيادة أمريكية بمراقبة القوات المصرية فى سيناء من خلال معسكرات ونقاط مراقبة محددة على ارض سيناء .

٤- وبشرط أن تنسحب مصر من المعركة العربية الدائرة ضد العدو الصهيونى، وتقف على الحياد فى أى صراع قادم وأن ينحشر جيش النيل فى أرضه كما قال موشى ديان .

٥- وبشرط ان تعترف مصر بدولة اسرائيل وتتنازل لها عن ٧٨٪ من فلسطين .

٦- وبشرط أن تقيم علاقات طبيعية مع (اسرائيل)على كافة الأصعدة .

٧- وبشرط أن تتعهد بأن تبيع لها ما تريده من البترول .

٨- وبشرط أن تلتزم بمحاكمة كل من يرتكب أى نشاط هدام ضد اسرائيل كالإثارة والتحريض والعنف .

٩- وبشرط أن يتم إنشاء نظام

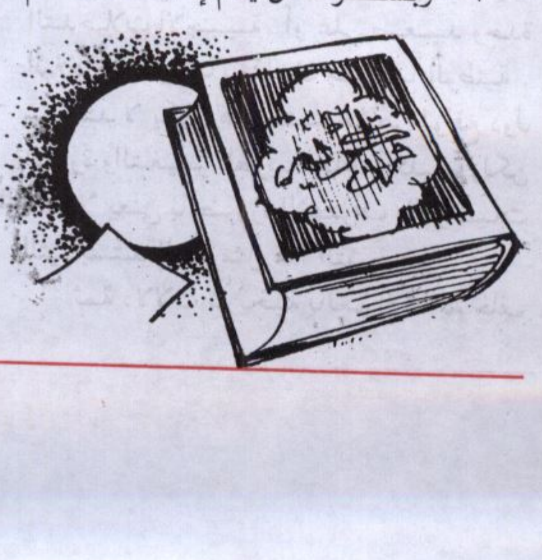

سياسي جديد يلتزم فيه الكافة بالاعتراف بإسرائيل وبالسلام معها ، وان يحظر على المعارضين المشاركة فيه .

١٠- وبشرط أن تقود مصر حملة لدفع الدول العربية والقيادات الفلسطينية للاعتراف بإسرائيل، وان تشارك فى تصفية اى مقاومة او فعل مسلح ضدها .

١١- وبشرط ان يترك للأمريكان مهمة إعادة صياغة مصر سياسيا واقتصاديا وعسكريا وطبقيا وتعليميا وثقافيا ودينيا ..الخ، وأن تكون لهم الكلمة الأولى في كل ما من شأنه أن يهدد أمن إسرائيل .

***

وبالفعل خرج الصهاينة من سيناء ودخلها الأمريكان كما دخلوا مصر كلها ، و تم تنفيذ كل شروطهم حرفيا ، فيما عدا نقطة واحدة عجزوا جميعا عن تحقيقها وهى :

انتزاع حب فلسطين وكره (اسرائيل) من قلوب وضمائر الشعب الطيب وقواه الوطنية .. فرغم مرور أكثر من ثلاثين عاما على المعاهدة مع العدو، إلا ان رفضها والنضال ضدها والمطالبة بالغائها تتزايد يوما بعد يوم .

***

انتهت الحكاية، ولكن الصراع قائم لم ولن ينته، إلى أن يوفقنا الله فى تحرير مصر من الهيمنة الأمريكية ومن اتفاقيات كامب ديفيد ومن نظامها، ويوفقنا فى استرداد كامل التراب الفلسطيني وإنهاء المشروع الصهيونى .

أسئلة عن عملية التغيير
السياسي في المشرق: المجال العربي

في إيران، وقعت ثورة مكتملة الأركان، بالغة العنف، ولكنها لم تأت بالحريات والنظام الديمقراطي ... وفي تركيا، ناضل الشعب طويلاً ضد نظام الاستبداد والنخبة المدنية العسكرية الحاكمة، حتى استطاع أن يؤسس دولة الحرية والديمقراطية، التي يرى البعض أنها لم تصل بعد، بالرغم من الإنجازات الكبيرة، إلى لحظة الحسم النهائي مع الماضي، وإن أصبحت قريبة منها.

بقلم د. بشير نافع

فأي مصير ينتظر دول المجال العربي، بعد أن تعثرت حركة الثورة والتغيير، طرح من الأسئلة والشكوك حول المستقبل أكثر مما توفر من اليقين.

أحد أبرز هذه الأسئلة اليوم أن ما شهدته دول مثل تونس ومصر وليبيا واليمن وسورية، إضافة إلى الأردن والمغرب، لم يكن ثورة بأي حال من الأحوال، بل مجرد حراك شعبي، مسلح وغير مسلح، جاء بنتائج غامضة ومختلطة، ولم يكن باستطاعته وضع أسس مستقرة لنظام ودولة جديدتين، ولا أن يحقق مطالب الأغلبية الشعبية بصورة مرضية.

في تونس ومصر واليمن، انتهى الحراك الشعبي إلى أنظمة قلقة، اجتمعت فيها، بدرجات متفاوتة، قوى التغيير مع قوى الأنظمة السابقة، وتحولت الدولة إلى ساحة للكراسي الموسيقية.

وبالرغم من التعديلات الدستورية الشكلية في المغرب والأردن، فليس ثمة شك أن مركز القوة والقرار في البلدين لم يتزحزح من مكانه.

أما في ليبيا وسورية، فقد كانت نتائج النزاع المسلح كارثية، سواء على صعيد التدخلات الأجنبية، أو على صعيد وحدة البلاد، ومقدراتها، وتماسك جماعتها الوطنية.

قد لا يكون هذا التشخيص لواقع دول الثورة والتغيير العربية خاطئاً كلية، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة الاعتراف بالفرضيات التي يستند إليها مثل هذا التشخيص.

ثمة دلالات تاريخية بالغة الأهمية خلف

مناخ الثورة والتغيير الذي سيطر على المجال العربي منذ اندلاع الثورة التونسية في ديسمبر ٢٠١٠، لابد من وضعها في الاعتبار قبل محاولة تحديد طبيعة اللحظة التي تعيشها هذه الحركة العربية الكبرى، ومحاولة قراءة المصير الذي يمكن أن تنتهي إليه .

ليس من الصحيح بالطبع القول بأن الحيوية الشعبية العربية، المسلحة وغير المسلحة، تمثل تطوراً غير مسبوق في تاريخ العرب الحديث .

الحقيقة، أن هذه الشعوب خاضت نضالاً مريراً من أجل الاستقلال الوطني ودحر السيطرة الأجنبية، طوال النصف الأول من القرن العشرين .

في بعض حالات التحرر الوطني، كما في العراق وسورية وفلسطين، واجهت الشعوب الأنظمة الإمبريالية مباشرة وبدون انتظار .. وفي حالات أخرى، قدم الشعب، كما في الجزائر، مئات الألوف من الشهداء، خلال سنوات قليلة من النضال من أجل الحرية والاستقلال .

كما شهد العالم العربي، لاسيما في عقدي الخمسينيات والستينيات، حراكاً شعبياً هائلاً باسم الوحدة وفلسطين. هذه محطات تاريخية في سجلات الشعوب العربية لا يجب نسيانها أو تجاهلها .

ولكن الحراك الشعبي الراهن، والمستمر منذ ما يقارب الثلاث سنوات، يختلف قليلاً؛ ليس بمعنى أنه أكثر نبلاً، ولكن من جهة اختلاف دوافعه وسياقه وأثره على مستقبل العرب .

حكمت هذه المنطقة من العالم خلال العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة المبكرة من قبل أنظمة سلطانية؛ تشكلت قواها الحاكمة من نخب عسكرية أو سلالية .

ولكن لا الجند الأتراك ولا المماليك، ولا طبقة السباهي والإنكشارية العثمانية، ولا العائلات السلطانية، أقامت حكماً استبدادياً، وذلك لسبب رئيس، يتمثل في طبيعة الدولة التقليدية في التاريخ الإسلامية، الدولة التي لم تكن تتمتع بسلطة تشريعية، ولا هيمنت على المجال العام، تعليماً وصحة وتجارة، إلخ .

منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبإرادة النخب الحاكمة، كما في إسطنبول وتونس والقاهرة، أو بقوة الإدارات الاستعمارية المبكرة، كما في الهند والجزائر، بدأت عملية تحول جذرية وبالغة الأثر في بنية الدولة، التي تحولت، تدريجياً وبصورة حثيثة، من دولة تقليدية محدودة السلطات، إلى دولة حديثة، مركزية، ذات سيطرة شاملة على الشعب والأرض .

ولكن عملية التحول تلك، والتي استمرت حتى مطلع القرن العشرين، لم يصاحبها تطور جوهري في بنية الطبقة الحاكمة .

بمعنى أن نطاق سيطرة الدولة قد اتسع بصورة غير مسبوقة في تاريخ الاجتماع العربي الإسلامي، من دون أن تصبح الطبقة الحاكمة أكثر ديمقراطية وتمثيلاً لعموم الشعب، حتى بعد أن أسست مجالس بلديات المدن وسنت الدساتير وولد مفهوم المواطنة .

وظلت الطبقة الحاكمة أقرب إلى الأقلية الاجتماعية منها إلى التعبير عن الأغلبية الشعبية، تنوعاً وإرادة. خلال القرن العشرين،

وسواء في عهد الإدارات الإمبريالية، أو في ظل دولة الاستقلال الوطني، لم تتغير طبيعة الأقلية للطبقة الحاكمة، وإن تغيرت هوية هذه الأقلية، من مرحلة إلى أخرى.

في مرحلة مبكرة، وبعض الكيانات العربية الجديدة، كما في الدولة الجمهورية التركية، تسلم مقاليد الحكم أبناء طبقة أعيان المدن العثمانية السابقة، الذين تلقوا تعليماً حديثاً في مدارس ومعاهد الدولة العثمانية المتأخرة، أو شبيهتها المصرية والتونسية، إداريين سابقين كانوا أو عسكريين.

في مرحلة تالية، وبلدان أخرى، أطاح الجيش بالطبقة الحاكمة السابقة وأقام نظام حكم عسكري صريح أو مقنع .. في مجموعة ثالثة من البلدان العربية، هيمنت على الحكم أقلية طائفية، بقوة الجيش أو للطبيعة الخاصة التي ولد بها الكيان السياسي، أو أسر ملكية.

مع نهاية القرن العشرين، وحتى في البلدان العربية التي عرفت الانتخابات والتعددية الحزبية، الحقيقية أو الصورية، كانت الساحة السياسية العربية لا تختلف كثيراً عما كانت عليه في نهاية القرن التاسع، حيث تقبض أقليات مختلفة على مقاليد الحكم والسلطة دون اكتراث كبير بمشاركة الشعوب في تقرير مصيرها.

الاختلاف الجوهري كان في طبيعة العلاقة بين نظام الحكم وجهاز الدولة؛ إذ استطاع الترويض الحثيث على مدى عقود، ومنذ ستينيات القرن العشرين، على الأقل، إخضاع الدولة بأذرعها المختلفة لأنظمة الحكم، بحيث لم تعد ثمة مساحة فاصلة بين الاثنين.

ومنذ هبت رياح تحرير السوق والتجارة على دول المجال العربي في سبعينيات القرن العشرين، صنعت الفئات الحاكمة طبقتها الخاصة من رجال الأعمال والتجارة، والتي سرعان ما أصبحت شريكة في الحكم أيضاً.

باختصار، بدلاً من التحول التدريجي من حكم النخب التقليدية إلى النظام التمثيلي الديمقراطي، ولدت أنظمة حكم استبدادية مغلقة، تسيطر عليها أقليات من أصناف مختلفة، تهيمن بصورة شبه مطلقة على نظام الحكم والدولة والثروة.

أحد أبرز سمات حركة الثورة والتغيير العربية، خلال السنوات الثلاث الماضية، أنها لم تحمل شعارات إيديولوجية معينة ولم تقدها قوى سياسية إيديولوجية، أو فئات اجتماعية، بعينها.

كان ثمة إسلاميون وقوميون وليبراليون ووطنيون بين صفوف الشبان والشابات الذين ازدحموا في شوارع المدن العربية، ولكن حركة الثورة لا يمكن تصنيفها باعتبارها تجلياً لهذه المعتقدات المرجعية؛ وكان هناك أبناء طبقة وسطى، وعمال، وفلاحون، ومهمشون، ولكن أياً منهم لم يستطع أن يصبغ الحراك الشعبي بصبغته.

تعلقت القوة الرئيسية المحركة لهذا الحراك الشعبي بقيم اجتماعية سياسية أولية: الحرية، الديمقراطية، الكرامة الإنسانية، والحكم الرشيد.

وهذه، بكلمة أخرى، حركة تطالب بوضع نهاية لحكم الأقليات، الاجتماعية والعسكرية والسياسية والطائفية، وما أفرزته من استبداد وفساد واحتكار للثروة.

وبهذا المعنى، لابد من فهم هذه الحركة الشعبية الكبرى باعتبارها رداً تاريخياً على بنية الأقلية المسيطرة على سلطة الدولة الحديثة في المجال العربي، البنية التي لم تتغير سوى صورياً طوال أكثر من قرن من الزمان .

قد تتعثر هذه الحركة قليلاً هنا أو هناك، قد تتراجع، أو ترتبك، ولكن، وكما شهدت شعوب أخرى، في مناطق أخرى من العالم، ليس ثمة سبيل لتوقفها، ولا لمنعها من الوصول إلى أهدافها النهائية .

كانت الحرية، ولا تزال، إحدى القيم الكبرى للحياة الإنسانية، وكما استطاعت الشعوب العربية قبل نصف قرن تحقيق الحرية من السيطرة الأجنبية، انطلقت أخيراً لتحقيق الحرية من سيطرة الاستبداد وأنظمة الأقليات الحاكمة .

هذه هي اللحظة التاريخية التي يعيشها العرب، بغض النظر عن الغموض والتردد والارتباك الذي يشوب صورتهم ونضالهم من أجل التغيير .

بعض هذا الغموض والارتباك، بالطبع، يعود إلى التدافع السياسي الاجتماعي داخل البلدان العربية، نظراً للتفاوت الكبير في مصالح وتوجهات وولاءات القطاعات الشعبية المختلفة .

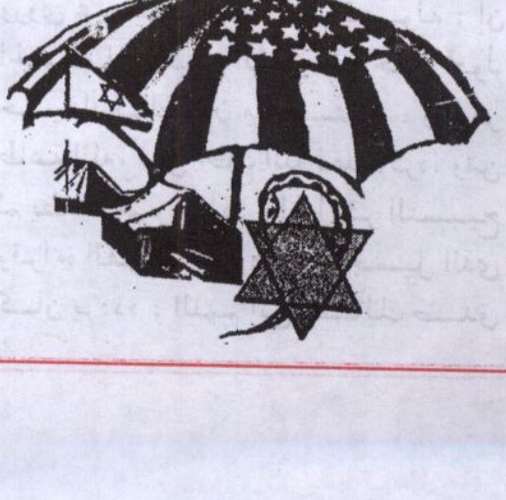

ثمة قوى وفئات ارتبطت مصالحها، أو تشكلت رؤيتها لذاتها والعالم كلية، من خلال أنظمة الاستبداد وحكم الأقليات، بغض النظر عن الجدل المحتدم حول حجم وفعالية هذه القوى والفئات .. ولكن الواضح الآن أن قدراً ملموساً من هذا الغموض والارتباك يعود إلى التكوين الفريد للمجال العربي .

فرغم أن العرب لم يعيشوا مطلقاً ضمن دولة عربية واحدة، وأن الدول العربية القطرية، والتي ولدت من نظام ما بعد الحرب الأولى، باتت عميقة الجذور، هناك ارتباط وثيق بين دول وشعوب المجال العربي، ارتباط ثقافي وسياسي، وارتباط استراتيجي وأمني .

وهذا ما يجعل تدخلات الأحزاب والأفراد والدول في حياة ونشاطات الدول الأخرى، ووحدة آمال وآلام الشعوب في البلدان المختلفة، أمراً طبيعياً ومعتاداً .

ولذا، فإن حركة التغيير العربية، على الأرجح، لن تحقق أهدافها كاملة حتى تطال المجال العربي كله. من دون ذلك، ليس ثمة قوة يمكنها أن تمنع فئة حاكمة في بلد ما من محاولة إحباط عملية التغيير في بلد آخر .

في النهاية، سيخط العرب طريقهم نحو الحرية ضمن ظروفهم الموضوعية، وخصوصيات الزمان والمكان . كل حركات الثورة والتغيير في العالم الحديث تتشابه بهذا القدر أو ذاك، ولن يكون غريباً أن تجمع الحركة العربية مشتركات ما مع الشعوب الاخرى. ولكن المجال العربي اليوم ليس إيران ولا تركيا، وسيصنع تجربته ومستقبله ضمن شروطه الخاصة .

***

سعيد بن جبير

من الذى لا يعرف سعيد بن جبير ؟!

لسنا نريد هنا أن نؤرخ له، أو أن نأتى على أطراف سيرته، فذلك شأن نتركه لأهل التأريخ وعلماء السير، وإنما هى لمحات فى قصة رجل يعرفه المسلمون واحدا من المعدودين من رجال تاريخهم، كوفئ علمه وفضله بأن قطعت رقبته ظلمًا وبغيًا، وكان قاطعها حاكما من حكام المسلمين .. قطعها، وهى الرقبة الطاهرة، بالحجة القديمة الظالمة : وهى إخماد الفتنة وحماية الأمن فى ديار الإسلام !

كان المحدث الأمين الذى أسند عن جماعة من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وابو هريرة .

وكان الفقيه الرصين الذى يُرجع إليه فى الفتوى بين أئمة العلم الكبار، حتى إن ابن أبى المغيرة ليقول : "أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟.. يعنى بذلك سعيد بن جبير" .

وكان الورع التقى الذى ترق القلوب لرؤيته، ويذكر بالله من يتصل به، وفى ذلك يقول هلال بن خباب : "خرجنا مع سعيد بن جبير فى جنازة، فكان يحدثنا حتى قمنا فرجعنا .. وكان كثير الذكر لله عز وجل" .

وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى لخشيت أن يفسد علىّ قلبى ! وسئل : من أعبد الناس ؟ فأجاب : رجل اجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله .. وروى عنه عطاء بن دينار قوله : إن الخشية أن تخشى الله تعالى حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك .. والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وقراءة القرآن، ومن دعائه الجميل الذى كان يردده : اللهم إنى أسألك صدق

التوكل عليك وحسن الظن بك .

وكان ذا بصيرة نيرة كشف الله بها لطائف من معانى القرآن لا تزال غضة مشرقة فى كثير مما أثر عنه .. قرأ مرة قول الله عز وجل : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ .. (الأعراف : ١٦٩) فقال : يعملون بالذنوب ويقولون سيغفر لنا ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ .. (الأعراف : ١٦٩) قال : الذنوب !.. وقال فى قوله تعالى : ﴿ يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ﴾ .. (العنكبوت : ٥٦) إذا عُمل فى أرض بالمعاصى فاخرجوا ! وسمعه عطاء يقرأ قول الله : ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ .. (يس : ١٢) ثم يقول : ما سنّوا ! أى ما سنّوه للناس من بعدهم بما قدموا من أعمال .. وأثر عنه أنه ذكر فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أمثلهم طريقة ﴾ .. (طه : ١٠٤) : أوفاهم عقلا .

هذا المحدث الأمين، العالم الفقيه، الورع التقى، ذو البصيرة الملهم، لم يمنعه كل ما امتاز به وعرفه الناس عنه من أن تناله يد الطغيان وتقطع رقبته، بل لعل كل ذلك فيه هو الذى أعده للشهادة وجعله أهلا لها، وقد كان هو يتمناها ويسأل الله أن يكرمه بها، وما إن جاءه رسل الحجاج يطلبونه حتى قال : "ما أرانى إلا مقتولا، لقد كنت أنا وصاحبان لى دعونا الله حين وجدنا حلاوة الدعاء وسألناه الشهادة، فكلا صاحبى رزقها وأنا أنتظرها !" وبكى ابنه فقال له : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة ؟!

وخرج به رسل الحجاج، فرأوا منه فى الطريق عجبا، ولم يلبثوا أن قالوا له : يا خير أهل الأرض : ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك ! الويل لنا ويلا طويلا، كيف ابتلينا بك ! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضى الأكبر والعدل الذى لا يجور .. فقال لهم سعيد : ما أعذرنى لكم وأرضانى لما سبق من علم الله تعالى فى ! فبكوا، وناشدوه أن يعظهم وينصحهم قائلين : إنا لا نظن أن نلقى مثلك أبدا .. ففعل سعيد، وأفاض عليهم من نور قلبه المطمئن، ثم جاء الليل فناموا وتركوه خاليا إلى ربه، حتى إذا انشق عمود الصبح قرع عليهم الباب يوقظهم، فقالوا : صاحبكم ورب الكعبة ! وخرجوا إليه يبكون (عجيب أمر هؤلاء الذين يستعملهم الطغاةفى اضطهاد عباد الله وفى تحقيق مآربهم، إنهم يعتذرون دائما بأن لا حول لهم ولا طول، والحق أن الطغاة لا حول لهم ولا طول إلا بهم، وأعجب من ذلك طيبة قلوب أهل الخير التى تجعلهم يقبلون عذر هؤلاء العملاء) .

ودخلوا على الحجاج، فسألهم : أتيتمونى بسعيد بن جبير ؟ فقالوا : نعم، قال : أدخلوه، فدخل، فبادرة الحجاج :

– ما اسمك ؟

– سعيد بن جبير .

– أنت الشقى بن كسير .

- بل كانت أمى أعلم باسمى منك .
- شقيت أنت وشقيت أمك !
- الغيب يعلمه غيرك .
- لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى .
- لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها .
- فما قولك فى محمد ؟ تعنى النبى ﷺ ؟
- نعم !
- سيد ولد آدم النبى المصطفى خير من بقى وخير من مضى .
- فما قولك فى أبى بكر ؟
- الصديق، مضى حميدا وعاش سعيدا، مضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغير ولم يبدل .
- فما تقول فى عمر ؟
- عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله، مضى حميدا على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل .
- فما تقول فى عثمان ؟
- المقتول ظلما، المجهز جيش العسرة، الحافر بئر رومة، المشترى بيته فى الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، زوجه النبى بوحى من السماء !
- فما تقول فى على ؟
- ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم، وزوج فاطمة، وأبو الحسن والحسين !
- فما تقول فى معاوية ؟
- شغلتنى نفسى عن تصريف أمور هذه الأمة وتمييز أعمالها .
- فما تقول فى ؟
- أنت أعلم بنفسك !
- بت بعلمك
- إذن يسوءك ولا يسرك
- بت بعلمك
- أعفنى !
- لا عفا الله عنى إن أعفيتك
- إنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى، وترى من نفسك أمورا تريد بها الهيبة وهى تفحمك الهلكة، وسترد غدا فتعلم !
- ويلك يا سعيد !
- الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار .
- فأمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يدى سعيد .. فقال :
- إن كنت جمعت هذه لتفتدى بها فزع يوم القيامة فصالح، وإلا فزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، لا خير فى شئ جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا .
- ما لك لا تضحك ؟
- وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار
- فما بالنا نضحك ؟
- لم تستو القلوب !
- أما والله لأقتلنك قتلة لن أقتلها أحدا بعدك
- إذن تُفسد على دنياى .. وأفسد عليك آخرتك
- اختر يا سعيد أى قتلة تريد أن

أقتلك ؟

- اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

- أفتريد أن أعفو عنك ؟

- إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

- اذهبوا به فاقتلوه !

فلما خرج سعيد من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده وقال : ما أضحكك ؟

فأجابه : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك !!

فأمر الحجاج بالنطع فبسط ثم قال : اقتلوه .

فقال سعيد : "وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين" فقال الحجاج : شدوا به لغير القبلة !

قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله

قال الحجاج : كبوه على وجهه !

فقال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

فصاح الحجاج : اذبحوه فكان أخر ما قاله سعيد : أما أنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى !!

وذُبح الرجل الصالح على النطع، ولم يعش الحجاج بعده إلا ليالى معدودات، قضاها مذعورا تلاحقه الرؤى وأشباح الجريمة النكراء، وما أكثر ما سمعه القريبون منه يحدث نفسه ويصيح : ما لى ولسعيد بن جبير ؟!

رضى الله عن سعيد وأرضاه فى الجنة وأمر الحجاج إلى الله !!

الشيخ سعيد رمضان

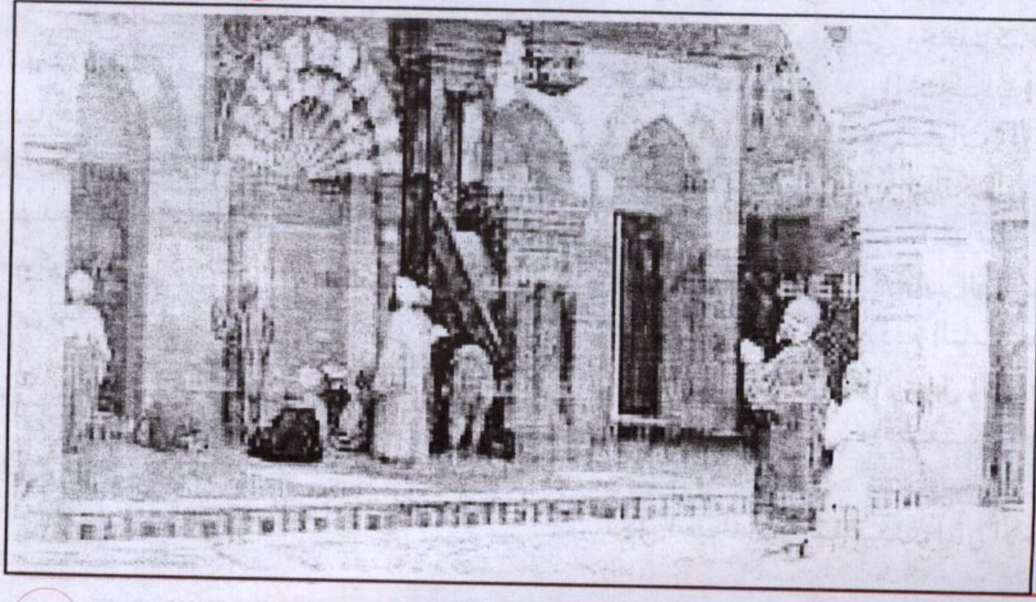

بين دفع الله وحتمية الاختلاف

تحقيق : هدى عبد الهادى

حق الباطل .. قال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .. ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ .. (البقرة : ٢٥٢)، وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم "إن الله ليدفع بالمؤمن الصالح من مائة من أهل بيته وجيرانه البلاء" .. ثم قرأ ابن عمر ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾، وقيل : هذا الدفع بما شرع على السنة الرسل من الشرائع، ولولا ذلك الدفع لتسالب الناس وتناهبوا وهلكوا .. ولفسدت الأرض ، ولكن الله يبتلى المؤمن بالكافر، ويعافى الكافر بالمؤمن .

ودفع الناس ذكره الله تعالى فى سورة الحج .. قال تعالى : ﴿ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره .. إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .. (الحج :٤١-٤١) .

أى لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من الجهاد والدفاع عن الحق لاستولى أهل الإلحاد والشرك وعطلوا ما بينه أصحاب الديانات من مواضع العبادات، أى لولا هذا الدفع لهُدمت فى زمن موسى الكنائس، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع، وفى زمن محمد عليه السلام المساجد، فالجهاد أمر قديم فى الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت العبادات المختلفة .

ومع ذلك هناك أيضا آيات عديدة فى القرآن تدعو إلى (قبول الاختلاف وتؤكد على حكمة التعايش مع هذا الاختلاف) مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ .. (الحجرات : ١٣) و﴿ من آياته خلق السماوات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم .. إن فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ .. (الروم : ٢٢)، وهذا يدل على أن فى كتاب الله رسالتين الأولى هى : ضرورة (دفع الناس بعضهم ببعض، ليظهر الحق ويمحق الباطل) ، الرسالة الثانية هى : حتمية الاختلاف وضرورة التعايش ، وهى رسالة موجهة لكل أجيال البشرية ليعلموا أن الاختلاف

سنة كونية تتطلب ضرورة الاعتدال وقبول الآخر وضرورة التكافل واحترام الحريات والديمقراطيات لتحقيق التعايش والسلام .

وما يحدث الآن فى مصر من صراع وانقسام وعنف لا أظنه سينتهى إلا بتحقيق واحترام مبادئ الديمقراطية، فهذا الاختلاف لابد له من قاعدة وقانون يحتكم إليه الجميع ويحترمه، ويلتزم به الجميع وإلا عشنا بقانون الغاب والهمجية وانتهاك الحريات .. إذن الديمقراطية واحترام مبادئها هو الحل العادل الذى لابد أن يحتكم إليه الجميع ويرضى جميع الأطراف (والديمقراطية تتلخص فى تحقيق هذه المعابر الستة :

١- تحكيم الصندوق الانتخابى .
٢- مساءلة الحاكم .
٣- حرية التعبير .
٤- الفصل بين السلطات .
٥- العدل والمساواة مع مراعاة النسبة والتناسب .
٦- الشورى .. وليع الجميع أنه لن يتحقق التعايش والسلام إلا بالالتزام بمعايير الديمقراطية بمفهومها الحقيقى المتعارف عليه دوليا، وهو أصل من صلب حكم الإسلام الرشيد واقتبسها الغرب من الإسلام .

إذن لكى تنتهى ظاهرة الصراع والعنف فى ظل الخضم من التنوع والتعددية لابد من تحقيق الديمقراطية أولا، والإسلام ينحاز إلى التدافع الذى هو حراك اجتماعى يعدل الميزان المائل، ولولاه لفسدت الأرض، مع الحفاظ (على التنوع والتعددية) أما الصراع الذى هو (فلسفة القوة) فإنه يؤدى إلى أن يصرع القوى الضعيف .. ومن ثم يقضى على التعددية التى يعدها الإسلام سنة من سنن الله فى الكون, ولقد جربنا صراع الدولة العسكرية البوليسية ضد كل أصحاب المعتقدات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .. فعشنا صراعات الشد والجذب التى أنهكت طاقات كل من الحكم والمعارضة .. فعاد الجميع إلى نقطة الصفر، وتعلقت الآمال بعد ثورة ٢٥ يناير بإنهاء هذا الوضع البائس وفتح الطريق للتحول الذيمقراطى الذى يحقق التبادل السلمى للسلطة عن طريق صندوق الانتخاب .. ولكن للأسف الشديد قوة التحديات الخارجيةوالداخلية، وأصحاب المعتقدات الغربية (لايريدون للشرق أن ينهض من جديد) ولا يريدون النجاح لهذا التحول الديمقراطى فى بلاد الربيع العربى !! والمخرج الوحيد من هذا النفق المظلم هو تحقيق مقاصد ثورة ٢٥ يناير بسيادة الديمقراطية والتبادل السلمى للسلطة، وجعل صناديق الاقتراع هى السبيل والمقياس الذى تُقاس به الديمقراطية .. والذى يتخذه كل العالم المتحضر لتفادى دوامة الصراعات .

رجال الله

بقلم: د. نجيب الكيلانى

ابن سبيل

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، وتباشير النهار أخذت تزحف من الأفق الشرقي، وقليل من الضوء الخافت بدأ يتسلل عبر ثغرات النوافذ والأبواب، وفتح الشاعر الكبير "جرير" عينيه، فوثب على الفور واقفاً، وقال وهو يلكز زوجته :

– "ويحك ياامراة! لقد أشرق النهار، وكان يجب أن تكون راحلتي في طريقها الآن إلى مركز الخليفة الجديد، عمر بن عبد العزيز .

فقالت زوجته وهي تتثاءب : -

– صدقت .. إنها فرصة العمر، وكان كل يوم يولي خليفة جديد .. هيه .. هات أوزانك وقوافيك، وتخير كلماتك، فعمر بن عبد العزيز ليس بالرجل الهين .. وقد سمعت، أن رأيه في الشعراء لا يسر أحداً منهم، وما ظنك برجل استقبل الخلافة بالدموع وتولى كرسيها زاهداً فيها ؟" .

وهتف جرير بأحد خدامه كي يعد له ماء الغسيل، ثم يجهز له الطعام والشراب، وما إن اطمأن إلى ذلك حتى التفت إلى زوجته قائلاً :

– "لا أظن أن خليفة أو أميراً من الأمراء يستطيع أن يعادي الشعر، إنه لسان الدولة وسجلها المجيد، وسيف بتار في معارك السياسة الكبرى" .

فأجابت زوجته مشفقة :

– "لا أظنه يعادي الشعر فعلاً، لكنه ينزله منزلته" .

– "ماذا تعنين ؟" .

– "أعني أن الشعر يد تمتد، تطلب المال .. الثمن .. وعمر بن عبد العزيز رجل من رجال الله، يفعل ما يفعل لوجه الخير، لقد دالت دولة الشعراء، وستقوم على أنقاضها دولة العلماء" .

فقال جرير محتداً :

– "ويلك ياجاهلة !! العرب هم الشعر، ولو مات الشعر لدالت دولتنا .. ذلك هو منطق التاريخ والحوادث" .

ثم ضحكت زوجته .. ودفعته دفعاً رقيقاً في دلال وقالت :

- "أوه .. إنك تأخذ الأمر مأخذ الجد وما قصدت إلا إثارتك، حتى تبدأ رحلتك نشطاً مرحاً .. ومن ثم يجب أن تفكر كثيراً، وتقدح زناد فكرك، إن عمر بن عبد العزيز رجل كبير .. وشعرك فيه يجب أن يكون كبيراً مثله يازوجي العزيز" .

فقال وقد غزته موجة من الكبرياء مترنماً ببيت خالد له من الشعر :

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح ؟

- أجل ياجرير ..

- نحن لها ياساذجة .. إن زوجك من زمن بعيد أصبح سيد الشعراء وأميرهم، وحامل لواء الفخار والمجد بينهم .. فطيبي نفساً .. وإلى اللقاء .

وأخذ جرير فيما بينه وبين نفسه، يفكر في قول زوجته عن عمر، ويفكر فيما يرويه الناس عنه، ثم يفكر أخيراً في الأزمة المالية التي دهمته، فاضطر إلى ضغط مصروفاته، متوجساً خيفة من المستقبل ، بل إنه أرغم نفسه إرغاماً على مديح أقوام ليسوا في منزلة كبرى بالنسبة للخلفاء والأمراء الذين كال لهم المديح، بل إنه في قرارة نفسه كان يدرك ماذا يفعل والحاجة لاترحم، ومظاهر الترف التي يحافظ عليها - كشاعر كبير - تدفعه دفعاً في كثير من الأحيان لأن يختلق المديح، ويصطنع آيات البطولة ويضفيها على أقوام ليسوا أهلاً لها ؟

أجل .. إن أزمته المادية ما برحت مستحكمة، فالخليفة السابق ظل مريضاً لفترة ليست بالقصيرة .. والهدايا والمنح والجوائز التي كان يغدقها على الشعراء قد انخفض معدلها، والمال شح في جيبه .. وتولية خليفة جديد فرصة يجب ألا تفلت من يده وإذا لم ينل جوائز شعره في حفلات التولية فهل ينالها في مواكب الرثاء والحزن والدموع، والقلوب المكلومة لاتهزها أريحية إحسان أو تقديرا لفن ؟ كلا .. كلا .. لن يكون عمر بن عبد العزيز كما زعموا، فقد حكم الحجاز من قبل بالعدل والبر، وملأ الآفاق عدلاً ونوراً، وعقد مجالس الشورى، وسعى إلى العلماء في ديارهم وأبى أن يسعوا هم إليه، وهاجم الطغاة والطغيان دون أن يخاف بطش خليفة، أو كيد حقود، أو تهديد طامع .. مثل هذا الرجل لايظلم أحداً، وبالتالي لن يظلم الشعراء ..

الشعر يبعث ما يشبه القشعريرة أو الرعشة في جسده، فينساب الشعر طلقاً جزلاً رصيناً، مادحاً فارس بني أمية، وفتاها العادل، ورجلها الأول : عمر بن عبد العزيز .

وعلى طول الطريق، كانت الأنباء

تترى، وروايات عجيبة تشبه الأساطير يتردد صداها في كل مكان، وتصرفات لايكاد يصدقها العقل تتناثر في جميع الأنحاء، وهتاف باسم عمر يملأ الآفاق .

ولعبت الهواجس برأس "جرير" حينما قال له أحد الأعراب :

– ويلك ياجرير !! لن تعود من مركز الخلافة إلا بخفي حنين، لقد قال الخليفة في الأيام الأولى من عهده حين جمع الناس : "أما بعد. إن خلفاء بني أمية قد كانوا أعطونا عطايا، ماكان يصح لنا أن نأخذها، وماكان يصح لهم أن يعطونا إياها، وإني محاسب عليها اليوم نفسي، ولذلك أردها لبيت المسلمين، وأبدأ بنفسي وأهل بيتي" .. فماذا ترجو من رجل مثله ياجرير ؟ لقد انتزع جواهر زوجته وردها إلى بيت المال، ورد إلى نصراني أرضاً قد اغتصبها أحد أشراف بني أمية، وصادر كثيراً من أملاك أولاد عمه" .

فقال جرير في شبه ضيق :"هذا يرفعه في عيوننا، ويجعلنا أكثر أملاً فيه، وتعلقاً به" .

ورغم بذور الشك التي أخذت تنمو في نفس جرير إلا أنه سار في طريقه، لا يرده راد، ولا يصرفه عن غايته شئ، إن كل هذه الأخبار الطوال التي يسمعها عن عمر لاتزيده إلا إعجاباً به، وتقديراً له، بل ولا تزيد مادته الشعرية إلا ثراء وجمالاً ..

وهل يضايقه أن يكون الخليفة عادلاً .. باراً .. زاهداً في عبث الدنيا ومتاعها ؟ ليس الأمر كما يصوره الناس ويبالغون فيه، إن عمر صاحب العقل الكبير، والزهد الصادق، والخلق السمح لن يتنكر للشعر والشعراء، ولا ينظر إليهم كفئة من المتعطلين المتسولين .

وما إن وصل جرير إلى بيت الخلافة حتى راعه ما رأى، ليس هناك جياد مسرجة، والحراس والشرطة لايملئون المكان، ولايثيرون فيه الضجة أو الرهبة الجديرة بحاكم كبير ، ولا أثر لجوقة العازفين بالمزامير، أو الضاربين على الطبول، والجواري لاينظرون من خلال النوافذ، ولا تنبعث من هناك الأنغام الحالمة التي تنبي عن الرفاهية والمتعة والنعيم، إن جريراً لايرى بالباب سوى الحاجب، ولايبصر بالداخل إلا "مزاحم" ـ خادم الخليفة ـ وقليل من الرجال والعلماء، يتحركون في هدوء بلا مظاهر ولا مواكب .. حتى لكأن الأمر لايعدو عن كونه ذهاب خليفة، ومجئ خليفة .. رجل مكان رجل .. الدنيا انتقلت من مكان إلى مكان .. هذا أصدق تعبير كان يتصوره جرير حينما سمع أن الخلافة انتقلت إلى يد عمر بن عبد العزيز ..

وطرق جرير الباب ..

وجاءه صوت الحاجب : "إلى أين يا أخا

العرب ؟ ".

فقال جرير في اعتداد : "أنا جرير .. جئت لمدح الخليفة".

فقال الحاجب :

- الخليفة لايسمح بدخول الشعراء ولا يقابلهم .

- عجباً !! كيف تقول هذا الكلام ؟..

ثم استطرد جرير : "هذا أمر ما سمعنا به من قبل" .

- إن الخليفة ينظر في مظالم الناس، ويدير شئونهم، وأظن أن ذلك أولى من سماعه لقصائد الثناء والمديح، وتقبل التهاني .

فقال جرير، وقد أصيب بخيبة أمل كبرى :

- يستطيع الخليفة أن يفعل الأمرين، ينظر المظالم ثم يسمع الشعر .

فقال الحاجب ساخراً :

- لن يسمح الخليفة جديدا ؛ كلامكم رائع وجميل أيها الشعراء لكنكم تقولونه للجميع .. اليوم وغداً .

فأجاب جرير ببساطة :

- لأن الناس يريدون أن يسمعوا شعرنا، والخلفاء كذلك .. أصبح الشعر ضرورة من ضرورات حياتنا، ولا يمكن الخروج عنه .

وشعر بالألم الشديد يعتصر فؤاده، إن معنى ذلك أن يشقى الشعر والشعراء في أيام العدل والحرية والسلام .

ومعنى ذلك أن يحمل الشعراء معاولهم، ويحرثون الأرض، ويسوقون الأغنام، أو يحملون السلع ويتجرون في الأسواق ويخرجون من حياة الجوائز والعطايا التي ألفوها..

ولم يفقد جرير الأمل كلية ، بل ظل يتردد على مقر الخلافة طوال شهر بأكمله دون أن يحظى بلقاء الخليفة الجديد .

وابتسم له الحظ حين رأى أحد الفقهاء يتجه صوب الباب، قاصداً الخليفة، وجرير يعلم منزلة الخلفاء لدى عمر، فاندفع جرير إليه وأخذ يرجوه ويتوسل إليه كي يمهد له السبيل، ويأخذ بيده للخليفة حتى يمدحه، وأمسك جرير بكم الفقيه وقال منشداً :

يا أيها القارئ المرخي عمامته
هذا زمانك، إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه
إني لدى الباب كالمشدود في قرن

وابتسم الفقيه، ووعد جريراً خيراً، ثم ذهب إلى الخليفة يستأذن له، وقال الفقيه لعمر :

- كان النبي صلى الله عليه وسلم يمدحه الشعراء .. ويعطيهم الصلات فلا تخرج عما فعله رسول الله ياعمر .

وقبل عمر، لكنه اشترط على جرير ألا يقول إلا حقاً ..

وكان هذا الشرط قاسياً بالنسبة لجرير،

إن الشعر تحليق ومبالغة وخيال جميل، وإذا خرج عن ذلك .. عن أكاذيبه الحلوة المباحة، وانفعالاته المهمومة، لن يكون شعراً، وماذا يفعل ؟ هذه فرصته الوحيدة .. لينس القصائد الطوال التي أعدها في الطريق، ويتجاهل روائع نظمه التي أخذ يحلم بها في لياليه السابقة وليبدأ من جديد، وليقل شيئاً .. أي شئ يليق بمقام الخليفة ... ولا يكون إلا حقاً .. وترنم جرير :

إن الذي بعث النبي محمداً
جعل الخلافة في إمام عادل
والله أنزل في القرآن فريضة
لابن السبيل وللفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً
والنفس مولعة بحب العاجل

فقال عمر :

- ياجرير .. أأنت من أبناء المهاجرين أم من أبناء الأنصار فنعرف لهم حقهم ؟ أم

من فقراء المسلمين فنأمر صاحب الصدقات أن يصلك بما يصل به قومك ؟ أم ابن سبيل فلك عندنا ما لأبناء السبيل من زاد ونفقة تبلغك بلادك وركوبه تحملك ؟..

وطأطأ جرير رأسه في أسى .. إنه أمام رجل لايريد أن يشتري الكلمات، ولا تهز أريحيته الألفاظ الضخمة والمديح الرضين، ولايريد أن يسمع إلا الحقيقة حتى في الشعر .. ولا يؤمن باحتراف الفن .. بل يعتبره هواية .. هواية بلا ثمن ..

وهمس جرير في صوت خفيض يائس :

- أنا ابن سبيل .. ياسيدي الخليفة .

- لنعطك ما نعطي لابن السبيل .

وحينما خرج "جرير"، تلقفه الشعراء المنتظرون لدى الباب وكلهم لهفة وشوق إلى ما فعل جرير مع الخليفة وما أعطاه، فهز جرير رأسه ثم قال :

- هذا رجل يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء .

وفي غمرة ذهولهم، وخيبة الأمل التي غشيت اجتماعهم ، انسل جرير عائدا من حيث أتى، وهو يغمغم :

- أيها المساكين .. إنه رجل لا يتاجر بالكلمة .. فانتظروا عهداً آخر، وخليفة جديداً.

غير أن جريراً كان يحس في قرارة نفسه، وهو يفكر في أمر عمر بن عبد العزيز، أنه أمام سماء ما طاولتها سماء .

"آنا ماري شميل" نعم أنا أحبه !!

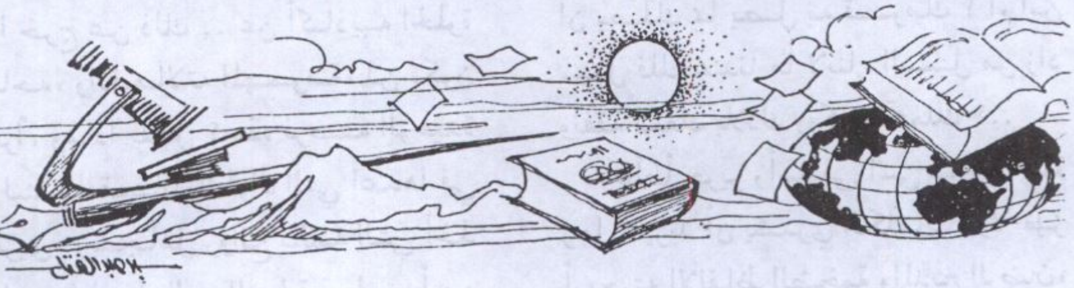

بقلم: زغلول عبد الحليم

لم تكن حياة العلامة "آنا ماري شميل" (١٩٢٢-٢٠٠٣) عميدة الاستشراق الألماني خالية من الصعاب والمواجهات مع المغايرين لها ذهنيا وفكريا لا سيما أنها آلت على نفسها متابعة ما يقرؤه وما يكتبه المستشرقون الألمان وخاصة ذوي الأصول اليهودية ثم تفيذ ما يرد في رؤاهم من أكاذيب تنافي حقائق التاريخ وكان من الطبيعي أن يتخذ المستشرقون عامة والألمان منهم خاصة موقفا عدائياً ضدها على الرغم من أنها لم تعلن إسلامها حتى رحيلها .

وقد أوصت آنا أن تتلى سورة الفاتحة على قبرها وقد رتل السورة الكريمة باللغة العربية يوم دفنها الشيخ (أحمد زكى يماني) نقلاً عن موقع جريدة الحياة في ٢٠١٣/٩/٢٨ وفي ١٩٨٥ صدر لها كتاب (محمد رسول الله) بالألمانية والإنجليزية مما أثار وسائل الإعلام الإلمانية ضدها فرددت بكلمات حازمة (نعم إني أحبه !) .

كان يصفها ناشرها بـ (مؤمنة آل فرعون) واشتركت معها في هذا اللقب العلامة (زيجرد هونكه ١٩١٣- ١٩٩٩) ابنة الناشر هونكه هونكه والآرستقراطية النشأة على عكس (آنا) المولودة في أسرة رقيقة الحال .

لولا الوحي لبقينا عميانا ! تعبير فريد للدكتور (مراد هوفمان) صاحب كتاب (الإسلام كبديل) والتي تقول عميدة الاستشراق (آنا ماري شميل) عنه :

"وبعد، فإنني أزعم أن القارئ سيقع في هذا الكتاب على كثير من التفسيرات والتحليلات التي يجهلها أو التي يجدها جديدة عليه، وأزعم أن القارئ سيعجب أو يدهش، بل قل سيُصدم لموقف الدكتور مراد هوفمان الجلي الواضح كل الوضوح، فهو ثابت القدمين على أرض الإسلام الذي عرفه السلف كما بلغ الرسول ﷺ وكما طبقه الصحابه والتابعون، وذلك بلا أدنى

تقدير منه للتصوف الذي أراه أقرب إلى نفسية الغرب .. إن الإسلام السلفي التقليدي الذي يري فيه الغرب باقيا باليه موروثه عن صيغ وأشكال طاعنه عتيقة قروسطية (من القرون الوسطي) إنما هو في نظر المؤلف دين قيم حتى سام جدير بالبقاء .. وأخيراً ينبغي ألا ننسي بيتي جوته في الديوان الشرقي الغربي :

إن يك الإسلام معناه القنوت .

فعلى الإسلام نحيا، ونموت من مقدمة (آنا ماري شميل) .

وهذه المقدمة لعميدة الاستشراق (آنا ماري شميل) التي أوصت قبل وفاتها بدفنها في مقابر المسلمين، أهديها لكل من سولت له نفسه بالاعتداء اللفظي أو بالكتابة المستفزة أو الهابطة عن الدين كدين .

اتقوا الله أيها الناس، واعلموا أن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. دين الأمة ليس للسخرية .. أو التندر .. فما أكثر مجالات اللهو .. اتقوا الله أيها الناس واعلموا أن الله لن يترك دينه لعبث العابثين وإن عقابه لشديد وهو واقع ماله من دافع .. في كتابه (يوميات ألماني مسلم) ١٩٩٣ الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر يقول الدكتور مراد هوفمان :

"إن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان، وإن خلق الكائنات التي توجد حولنا هو أمر واضح، وأنه مما لا شك فيه أن هناك أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية، وهكذا أدركت، وقد هزتني الحقيقة، أنني قد أصبحت في خطوة وراء أخرى بالرغم منى ودون أن أكون داعيا بذلك مسلما بمشاعري وفكري .. ولم تبق إلا خطوة واحدة أخيرة وهي أن أعلن إسلامي رسمياً ؛ فنطقت بالشهادتين في المركز الإسلامي بكولونيا واخترت لنفسي من بين الأسماء الإسلامية اسم (مراد فريد) وأصبحت منذ اليوم مسلما، وهكذا بلغت مرادي" ص٧٤ في ١٩٨٥/٩/٢١، وأهدى هذا الكلام للمتحذلقين وهواة بقايا الموائد .. للدين رب يحميه ولن يترك الله دينه .

تهتف (أنا ماري شميل) للدين ويهتف بعضنا ضد الدين اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله .. الدين الذى هو الشرائع والشعائر معاً .

لا مجال للاختيار بين شريعة وأخرى، تقبل واحدة وتترك الأخرى كما لا مجال للاختيار بين الشعائر إلا أحكامها العامة في القرآن والتفصيلية كما جاءت بها السنة النبوية الشريفة .

الدين ليس للتسلية واللعب .. الدين منهج للناس، إما أن يأخذوا به أو يتركوه فليس هناك أدني إجبار .. اختيار كامل لأن هناك في الآخره حسابًا شديداً على اللفظ فما بالك برفض المنهج !

نسأل الله أن يهدينا إلى سواء السبيل،

أكذوبة جهاد النكاح

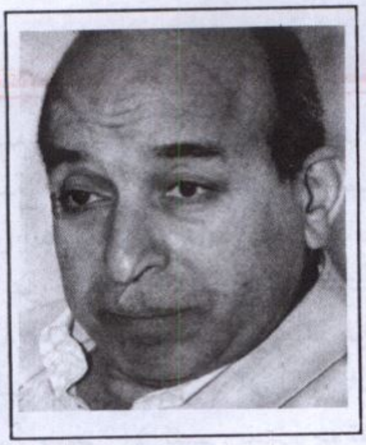

فهمى هويدى

تبين أن قصة جهاد النكاح ليست سوى أكذوبة أطلقها أبالسة المخابرات السورية، لطعن وتشويه فصائل مقاومة النظام هناك .. وقد تولت أبواق النظام الترويج للمقولة التى أحسب أنها نجحت بصورة نسبية فى الحط من شأن كل القوى الوطنية التى تخوض معركة الدفاع عن كرامة الشعب السورى، وأسهم فى الترويج لتلك الفكرة الشيطانية كثيرون من خصوم التيار الإسلامى خارج سوريا، إذ التقطوها ووظفوها فى معاركهم الداخلية خصوصا فى مصر وتونس، حتى تعددت الكتابات التى لم تر فى ممارسات فصائل ذلك التيار بل فى المقاومة السورية ذاتها غير حكاية جهاد النكاح، بل إن قيمة الجهاد ذاتها بكل جلالها أهينت وابتذلت بحيث لم تعد ترى إلا من هذه الزاوية، وكأن الجهاد صار غطاء لارتكاب الفاحشة وإشاعتها .

فى حين هللت بعض وسائل الإعلام العربية للحكاية، فإن الإعلام الفرنسى هو الذى فضح الأكذوبة فيها .. وهذا ما فعلته صحيفة لوموند وقناة فرنسا ٢٤ ، فقد نشرت لوموند فى عدد أول أكتوبر الحالى تقريرا أكد أن جهاد النكاح لا وجود له فى سوريا وأن إعلام النظام السورى هو الذى اخترع الفكرة فى إطار حملته على الثوار، الذين كان قد وصفهم فى السابق بالمتسللين من الخارج لنزع صفة الانتماء الوطنى عنهم .. وأشارت الصحيفة إلى أن ذلك المفهوم ظهر إلى العلن فى المرة الأولى فى أواخر عام ٢٠١٢ عبر قناة الجديد اللبنانية الموالية لدمشق .. وعلى الفور تم استنساخه من قبل المنابر الإعلامية الموالية للرئيس الأسد .

وكان الهدف من إطلاق الكذبة ليس فقط تشويه صورة مقاومة النظام ولكن أيضا صدم الرأى العام الغربى .. ولإعطاء المصداقية للفكرة فإنها بنيت على فتوى لأحد الدعاة السعوديين المعروفين (الشيخ محمد العريفى) إلا أن النفى السريع الذى أصدره الداعية دفع المروجين للفتوى إلى نسبتها إلى مصدر مجهول تعذر إثباته .

أضافت الصحيفة الفرنسية أن مسألة جهاد النكاح يتوافر فيه عنصر الإثارة

الذى تبحث عنه وسائل الإعلام، وهو ما يفسر كثرة تداولها فى الصحف والبرامج التليفزيونية رغم ثبوت عدم وجود أى فتوى تتطرق إلى الموضوع أو تجيزه .. وأشارت فى هذا الصدد إلى أن جميع أطراف المعارضة السورية، من الائتلاف الوطنى السورى إلى الجيش الحر وجبهة النصرة، رفضوا الفكرة وشددوا على أنه لا وجود لها بين الثوار .

تطرقت الصحيفة إلى تصريحات وزير الداخلية التونسى لطفى بن جدو الذى تحدث عن ذهاب تونسيات إلى سوريا للمشاركة فى ذلك النوع من "الجهاد"، وقالت إن الوزير لم يعط أية أرقام عن عدد هؤلاء .. كما أنه لا توجد شهادة من أى فتاوى تونسية توثق الخبر، قبل أو بعد التصريحات التى أطلقها .

قناة فرانس ٢٤ خلصت إلى ذات النتيجة، وذكرت أن وزير الداخلية التونسى الذى أثار الموضوع على خلاف مع حركة النهضة .. وأشارت إلى أنها استطلعت الدوائر وثيقة الصلة بالمقاومة السورية التى نفت القصة من أساسها ونسبتها بدورها إلى المخابرات السورية .. ونقلت عن أحد المراقبين الذين أوفدتهم الجامعة العربية إلى سوريا - السيد أنور مالك - قوله إن قصة جهاد النكاح أطلقتها المخابرات السورية .. وأضاف تقرير القناة معلومتين مهمتين الأولى أن الصور التى ظهرت لفتيات تونسيات نسب إليهن الاستجابة لتلك الفتوى مختلقة وغير صحيحة لأنها لفتيات شيشانيات التقطت لهن أثناء فترة الاشتباك مع السلطة الروسية .. الثانية أن صحفية فى قناة "الميادين" اللبنانية القريبة من النظام السورى "اسمها مليكة جبارى" قدمت استقالتها من القناة لأنها أجبرت على فبركة القصة وتلفيقها وبثها على شاشة القناة .

إن "الشبيحة" فى سوريا ليسوا فقط أولئك الذين ينقضّون على المعارضين ويفتكون بهم على الأرض، لأن لهم نشاطا آخر يمارسونه فى الفضاء الإعلامى، من خلال إطلاق مختلف القذائف الملوثة والمسمومة من قبيل القصة التى بين أيدينا، التى تفتك بالخصم وتسعى إلى اغتياله وتدميره أدبيا ومعنويا .. إلا أننا ينبغى أن نعترف بأن نشاط شبيحة الإعلام أكبر وأوسع نطاقا، ليس فقط لأن مشاهدى التليفزيون أكبر بكثير من قراء الصحف والكتب، ولكن أيضا لأن ذلك الصنف من الشبيحة ليسوا موجودين فى سوريا فحسب، ولكنهم لهم نظائرهم فى مختلف أنحاء العالم العربى، وقد انجذبوا إلى ممارسة المهنة بعدما أدركوا أن الإعلام صار فى زماننا ضمن أسلحة الدمار الشامل، التى تفسد ضمائر الناس وتقتل أرواحهم وتجردهم من إنسانيتهم، فى حين يظلون أحياء يمشون على الأرض .

***

أمير المغظلين

بعد مضى عشرين عاما على اتفاقية السلام فى أوسلو كان الحصاد كما يلى : عدد المستوطنين اليهود تضاعف من ٢٦٠ ألفا إلى ٥٢٠ ألفا ـ الاستيطان ابتلع ٤٢٪ من الأراضى المحتلة ـ أزالت إسرائيل ١٥ ألف مبنى فلسطينى ـ سيطرت إسرائيل على كامل المنطقة التى تمثل ٦١٪ من أراضى الضفة الغربية ـ رفضت إسرائيل ٩٤٥ من طلبات البناء للفلسطينيين ـ قطاع غزة أصبح يخسر ٧٦ مليون دولار سنويا جراء منع سكانه من زراعة ٣٥٪ من الأراضى ـ تقليص مساحة الصيد فى غزة من ٢٠ ميلا إلى ستة فقط .

هذا ما ذكرته وكالة المساعدات الدولية (وكسفام) فى تقرير أعدته بمناسبة الذكرى العشرين لاتفاقية أوسلو التى وقعت فى ١٣ سبتمبر عام ١٩٩٣ ، وخلصت منه إلى أن ملايين الفلسطينيين أصبحوا أكثر بؤسا وتعاسة عما كانوا عليه قبل ذلك التاريخ .

لم يتحدث تقرير الوكالة الدولية عن تهويد القدس ولا عن الجدار العازل الذى أدى إلى تشريد خمسة آلاف فلسطينى ولا عن الأسرى الذين تحتجزهم إسرائيل والذين زاد عددهم بنسبة ١٥٪ عن العام الماضى .. كما لم يتحدث عن "التعاون" الكارثى المتمثل فى التنسيق الأمنى بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل الذى هدفه الأساسى قمع المقاومة وحماية الأمن الإسرائيلى .

غنى عن البيان أن ذلك ليس كل حصاد العشرين عاما التى مرت منذ توقيع الاتفاقية فى أوسلو ، لكنه يظل قدرا كافيا فى التدليل على ان ذلك الاتفاق يجسد أكبر وأغرب خدعة تعرض لها الفلسطينيون والعرب فى تاريخهم الحديث .. ذلك ان أحدا فى زماننا لا يستطيع أن يصدق فكرة ان يغتصب جزء من وطن بقوة السلاح ثم يبتلع بقية الوطن بالحيلة والسياسة وبموافقة القائمين على أمره .. صحيح ان الأمريكيين فعلوها مع الهنود الحمر فى القرن السابع عشر ، واستخدموا فى ذلك سلاح الإبادة والإفناء ، وسبقوا الإسرائيليين فى عقد اتفاقات السلام مع شعوبهم وقبائلهم ثم الانقلاب عليها ، لكن ذلك حدث فى زمن مختلف وفى عالم مختلف مرر تلك الجريمة التى وقعت فى غفلة من الزمن .. وذلك كله تغير الآن ، إذ تطورت فنون الإبادة وتداخلت المصالح كما تفتحت الأعين وكبرت الآذان .

المدهش فى الأمر أن بيانات التغول الإسرائيلى ومخططات ابتلاع الأرض والأدلة والقرائن التى تؤكد الإصرار الإسرائيلى على تصفية القضية .. ذلك كله معلن ومعلوم لدى الجميع .

مؤخرا أصدرت تنسيقية العمل الفلسطينى بالقاهرة التى يرأسها القيادى والباحث الفلسطينى عبدالقادر ياسين ،

دراسة سجلت فيها عصارة الخبرة الفلسطينية خلال العقدين الماضيين، وكان عنوانها "أوسلو - عشرون سنة من الكوارث" .. وأهم ما أبرزته أنها سلطت الأضواء على العوامل التى أفضت إلى تلك الكوارث، التى لم تكن مقصورة على أخطاء القوى الوطنية الفلسطينية والمناورات والاختراقات التى تعرضت لها فحسب، وإنما كان للضعف العربى وانكسار إرادته دوره الذى لا ينكر فيما أصاب القضية الفلسطينية من وهن وانكسار .. ذلك طبعا بخلاف التحول الذى حدث فى توازنات القوى الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى بداية التسعينيات .. وقد خلصت الدراسة إلى أنه لا سبيل إلى مواجهة التحدى المتمثل فى التصفية الوشيكة للقضية الفلسطينية سوى التقاء القوى الفلسطينية فى جبهة متحدة تتفق على برنامج إجماع وطنى للإنقاذ، يصحح المسار ويجنب القضية المصير البائس الذى يُنسج لها فى مشاورات الغرف المغلقة، وفى أجواء الخلل الفادح فى موازين القوى، وهى التى تهيئ الفرصة للتصفية المنشودة بمباركة أغلب الأنظمة العربية الجاهزة لإغلاق الملف، ولم يعد يشغلها الآن سوى كيفية إخراج الصفقة وإسدال الستارة على فصلها الأخير.

لقد أدهشنى أن وفدا من رام الله هرول إلى واشنطن استجابة لنداء المباحثات رغم كل ما فعلته إسرائيل لابتلاع الأرض ومحو الخريطة الفلسطينية، الأمر الذى ذكرنى بتجربة الشريف حسين مع الإنجليز .. الذين ظلوا يخدعونه طول الوقت منذ كان أميرا على مكة (١٩٠٨ - ١٩١٧) ويحرضونه على الثورة ضد السلطة العثمانية، ويعدونه بأنه سيكون خليفة للمسلمين، إلى أن حقق لهم مرادهم ثم فوجئ بهم فى نهاية المطاف وهم يضعونه فى مدرعة بريطانية وينفونه إلى قبرص، ولم يعيدوه إلى عمان إلا ليموت فيها سنة ١٩٣١

ظل الشريف حسين يركض وراء السراب الذى هيأه له الإنجليز، وفى كل مرة كان يُنبه إلى مؤامرة يدبرونها ضده فإنه كان يسارع إلى سؤالهم بخصوصها فيدعون البراءة ويواصلون خداعه، ولما تكررت العملية وصفته بعض الكتابات بأنه "أمير المغفلين" .. وإزاء تكرار وفداحة ما نشهده الآن فى فلسطين فإننى أزعم ان ذلك الوصف هو أخف ما يمكن أن يطلق على "شريف" زماننا الذى قرر العودة إلى مفاوضات السلام فى واشنطن غير مبال بمسلسل الخديعة المستمر منذ ٢٠ عاما .

درس فى "الشيطنة"

قال الأستاذ إن تعليمات الهجوم على المزرعة ونهب المكتبة صدرت من رابعة .. وفى التفاصيل ذكرت إحدى الزميلات نقلا عن بعض المصادر أن قرار الهجوم على

ضيعة الأستاذ هيكل أصدرته لجنة الإعلام والثقافة فى مجلس الشورى المنحل، والتى أعدت قائمة سوداء تضمنت أسماء الكتاب الذين أيدوا فض اعتصام رابعة، وكان الأستاذ على رأسهم .. المذيعة التى أجرت الحوار مع الأستاذ يوم الخميس ٩/١٢ ظهر على وجهها التأثر الشديد، وعلقت على ما حدث قائلة إنه هجوم على التاريخ والثقافة والفن .. ولم يكن ذلك هو التعقيب الوحيد لأن أصداء الحادث ترددت فى كتابات أخرى عديدة .. قال أحدهم إن التتار الجدد مروا من "برقاش"، البلدة التى تقع فيها المزرعة وإن الإخوان فى عامهم الأسود استباحوا الوطن وأشاعوا الجهل والتخلف، وأن من أحرقوا التاريخ فى "برقاش" هم أنفسهم من أشعلوا النار فى الكنائس والمساجد ومن فجروا القنابل فى أجساد الأبرياء ومن زرعوا سيناء بعصابات الإرهاب أعداء الحياة .

وتحدث آخر عن غزوة مكتبة برقاش التى ارتكبها أبطال غزوة رابعة العدوية والنهضة الذين لم يجدوا ما يتأسون به من تاريخ المسلمين سوى غزوات حرق مكتبة الإسكندرية ومكتبة بغداد .

منذ وقعت الواقعة فى ١٤ أغسطس الماضى، يوم فض اعتصام رابعة، وأصابع الاتهام تشير إلى الإخوان وحلفائهم، وحين تزامن الهجوم على المزرعة والمكتبة مع فض الاعتصام فإن ذلك اعتبر قرينة عززت التهمة، إذ اعتبر من أصداء الصدمة التى أصابت الإخوان جراء عملية الفض صبيحة ذلك اليوم .. إلا أن المعلومات التى نشرت مؤخرا (السبت ٩/١٤) فاجأتنا بأن التحقيقات أسفرت عن أبعاد أخرى لم تكن فى الحسبان .. فقد ذكرت صحيفة الأهرام أن أجهزة الأمن فى محافظة الجيزة تمكنت من إلقاء القبض على مرتكبى واقعة إشعال النيران بفيللا الأستاذ هيكل والاستيلاء منها على عدد من الوثائق التاريخية وكذا حرق نقطة شرطة المنصورية .. وكان مدير مباحث الجيزة قد شكل فريقا لتحرى الأمر، إلى أن توصل الفريق إلى المتهمين الذين نُصبت لهم عدة أكمنة ثم ألقى القبض عليهم بعد تبادل إطلاق النار معهم .. فى التحقيق اعترف المتهم عبدالرازق جمال (٢٣ سنة ـ قهوجى) بأنه قرر بالاشتراك مع آخرين إضرام النيران بنقطة شرطة المنصورية وسرقة محتوياتها .. كما قام المتهم ومعه الآخرون بسرقة محتويات الفيللا التى يملكها الأستاذ هيكل .. وعثر بحوزة الرجل على شارتين عسكريتين لرتبة نقيب وعلبتى سيجار خشبيتين ومطواة .. وتبين من التحريات أن المتهم محكوم عليه وهارب من ٥ قضايا .. وقد اعترف بالاشتراك مع المدعو محمد عبدالفتاح عبدالمحسن بسرقة الفيللا .. ويكثف رجال الأمن تحقيقاتهم لضبط الوثائق التاريحية والمقتنيات الأثرية التى استوليا عليها من مكتبة الأستاذ .. وهذا

الذى نشرته الأهرام، تكرر بنفس المضمون فى صحيفتى أخبار اليوم والجمهورية، دون الإشارة إلى دور للإخوان فى الجريمة .

جريدة "المصرى اليوم" نشرت التفاصيل ذاتها مضيفة معلومتين، الأولى أن المتهم عبدالرازق جمال (القهوجى) ارتكب جريمته بالاشتراك مع عشرات آخرين والثانية أن بين المتهمين عناصر منتمية إلى جماعة الإخوان .. جريدة "الوطن" نشرت الخبر تحت العنوان التالى : القبض على الإخوانى المتهم بحرق فيللا هيكل فى الجيزة .. لم تذكر الصحيفة اسم المتهم ولا أنه قهوجى وهارب من خمس قضايا، ولكنها بعدما تجاهلت الاسم قالت فى الخبر إنه ينتمى إلى تنظيم الإخوان، وأنه كان ضمن خمسة أشخاص ينتمون إلى تيارات دينية وجهادية فى منطقة منشأة القناطر نفذوا الهجوم، وقاموا بتفجير ٤ أسطوانات بوتاجاز داخل الفيللا مما أدى إلى احتراقها بالكامل .. وأشارت الصحيفة إلى أن محامى الأستاذ اتهم فى محضر الشرطة تنظيم الإخوان بارتكاب الجريمة .

جريدة "التحرير" ذكرت فى عناوين الصفحة الأخيرة ما يلى : القبض على المتهم الرئيسى بسرقة فيللا هيكل - قهوجى استعان بصديقه وهاجما نقطة شرطة المنصورية قبل حرق مكتبة الأستاذ .

التقرير المنشور تضمن المعلومات التى أوردها تقرير الأهرام وأورد اسمى القهوجى وزميله الهارب، إلا أنه مع ذلك تحدث عن قيام الإخوان بحرق الفيللا .. وأشار إلى أن وكيل النيابة طلب تحريات المباحث حول ما ذكره محامى الأستاذ عن هجوم جماعات إرهابية مسلحة على الفيللا والمزرعة. وقيام بعضهم برفع علم "القاعدة" الأسود .

حين قارنت ما نشرته الصحف الست، وجدت أن الإجماع انعقد فيها على أن الذى قاد الهجوم هو القهوجى الهارب من خمس قضايا سرقة، ولاحظت أن الصحف القومية الثلاث لم تشر إلى دور للإخوان فى العملية، الأمر الذى يعنى أن هذه معلومات جهات التحرى والتحقيق .. أما الصحف الخاصة "المستقلة"، فإنها تطوعت بتسييس الخبر على النحو الذى سبقت الإشارة إليه .. وهو ما ذكرنى بما سبق أن لاحظته فى نشر خبر نهب متحف ملوى، الذى قالت إحدى صحف اليوم التالى بأن الإخوان هم الذين فعلوها، فى حين ذكرت أخرى أن اللصوص وراء العملية .

ليست القضية أن يبرأ الإخوان من جريمة نهب مكتبة الأستاذ، لأن ما هو أهم وأخطر هو تلك الجرأة على طمس الحقائق التى لا تهدر أخلاق المهنة فحسب، ولا تروج للأكاذيب فحسب، ولكنها أيضا تشيع بين الناس وعيا زائفا وإدراكا مشوها يخدم الأجهزة الأمنية ويضلل القارئ .

***

كيسنجر يكشف تفاصيل خطيرة عن حرب اكتوبر

وزير الخارجية الأمريكي السابق:

• كان القرار الذي اتخذناه في الساعات الأولى للحرب هو عدم السماح بهزيمة إسرائيل.

• مقتل ٢٦٠٠ إسرائيلي كان ضربة قاسية وتعهدت لمبعوثي تل أبيب بضخ المساعدات وبدأنا في تزويدهم بالفانتوم

• مائير أرادت زيارة واشنطن وطلب المساعدة من نيكسون بعد خسائرها الباهظة على الجبهة

• طلبت تل أبيب وقف النار واقترحنا على بريطانيا القيام بذلك فرفضت ووافقت استراليا لكن السادات عارض

• السادات شعر بالثقة المفرطة في ظل الانتصارات التي حققها وقرر عدم الاكتفاء بالخط الذي وصل إليه

• قال وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر، إن حرب أكتوبر ١٩٧٣، آخر الحروب بين مصر وإسرائيل .. وقد انتهت دون تحقيق انتصار عسكري لكلا الطرفين.

وفي رده على سؤال : "من انتصر في حرب أكتوبر"؟، أجاب كيسنجر - في مقابلة سيبثها بالتليفزيون الإسرائيلي بدءاً من ١٣ أكتوبر الجاري - بقوله : "لم يكن هناك انتصار واضح؛

لقد أثبتت إسرائيل أن الجيوش العربية المدعومة سوفيتيا لا يمكنها هزيمتها، خاصة أن إسرائيل تمتعت بدعم أمريكي مماثل، ولهذا عندما تعافت قواتها من المفاجأة المصرية عملت بفعالية وجرأة" .. لكنه أشار إلى "أنها (إسرائيل) تعلمت درسًا جديداً، فسقوط ٢٦٠٠ من جنودها قتلى كان ضربة قاسية لها، لكن بعد ٤٠ عامًا تحسن وضع إسرائيل، فهي الآن عضو مقبول بالمجتمع الدولي، وشاركت في مسيرة سلام مع أحد المشاركين في الحرب، إلا أن تلك الأخيرة كان تجربة مؤلمة لها"، وفق ما نقلت صحيفة "هاآرتس" عن مقتطفات من المقابلة.

وعن شهادته عن الحرب، قال كيسنجر : "في الأيام الثلاث الأولى قيل لنا إن الجيش المصري سيُباد وإن القوات الإسرائيلية ستعبر قناة السويس، وكان تحركاتنا الدبلوماسية معتمدة على تلك الافتراضات، الإشارة الأولى على أن الأمور تغيرت صباح يوم الثلاثاء التاسع من أكتوبر، عندما زارني السفير الإسرائيلي وملحقه العسكري اللواء موطيه جور، وقالوا لي إن إسرائيل تكبدت خسائر باهظة على الجبهة المصرية وإن جولدا (مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية آنذاك) تريد المجئ لواشنطن لتطلب من الرئيس (ريتشارد) نيكسون المساعدة، قلت لهم إنني سأبلغ الرئيس بآخر المستجدات، وفعلت، وأوصيتهم ألا تغادر مائير إسرائيل في ذروة الحرب وتأتي لواشنطن طالبة المساعدة، كي لا يفسر الجانب الثاني الأمر كعلامة على الضعف الشديد".

وأضاف : "فيما يتعلق بالجانب العسكري، أبلغت المبعوثين الإسرائيليين بأننا ملتزمون بتعويض النقص الإسرائيلي في ظل الخسائر وأنهم في استطاعتهم استخدام الاحتياطي العسكري الذي لديهم، وأن الولايات المتحدة ستعود وتضخ لهم المساعدات العسكرية، وبدأنا في تزويدهم بطائرات الفانتوم" .. وأردف كيسنجر قائلاً : "كان القرار الذي اتخذناه في الساعات الأولى للحرب، هو عدم السماح بهزيمة إسرائيل وعمل كل ما يلزم لتجنب ذلك، كنا مصممين أيضا على أن تكون هناك مبادرة سلام في أعقاب الحرب، شريطة ألا تأتي تلك المبادرة بعد هزيمة إسرائيلية، لهذا عندما طلبت تل أبيب وقف إطلاق النار رأيت أن هذه فكرة غير حكيمة، لكن بعدها اقترحنا على طرف ثالث أن يقترح هو وقف النار بدلاً من إسرائيل،

عرضنا على بريطانيا هذا الدور ورفضت، ووافقت استراليا لكن السادات رفض" .

وفي إجابته عن سؤال : "لماذا رفض السادات، رغم أنه حقق هدفه بعبور قواته للقناة ؟"، أجاب كيسنجر : "أعتقد أن السبب في ذلك هو شعور السادات بالثقة المفرطة في ظل الانتصارات التي حققها، لهذا قرر عدم الاكتفاء بالخط الذي وصل إليه، والذي كان يبعد عن القناة عدة كيلومترات، والتحرك في اتجاه المضائق الجبلية أي متلا والجدي، لهذا قام السادات صباح الأحد ١٤ أكتوبر بهجوم مدرع، وكانت نتيجة المعركة عكس الأسبوع السابق لها، حيث فقدت مصر مئات الدبابات في تلك الأيام، وكان هذا مقدمة لعبور القناة في الاتجاه المضاد" .. وعن قرار مائير بعدم القيام بضربة استباقية صباح يوم الحرب، قال وزير الخارجية الأمريكي الأسبق : "نحن نتحدث عن حرب قامت في الساعة الثانية ظهرا من نفس اليوم، لهذا فالسؤال هو (إلى أي درجة ستكون الضربة الاستباقية فعالة، دون أن يكون سلاح الجو الإسرائيلي مستعدا للعمل ضد المنظومة الدفاعية الصاروخية التي نصبها السوفييت على طول قناة السويس) لهذا فأنا اعتقد أن قرار جولدا كان معقولاً" ..

وأضاف كيسنجر : "يوم ٥ أكتوبر أبلغتنا إسرائيل أن هناك قلقًا من الحرب، لكن لا يوجد أي خطر محدد من أي نوع، هناك فقط تخوف إزاء تركيزات القوات التي علمنا بها والتي يمكنها أن تكون على درجة عالية من الخطورة" .. وفيما يتعلق برؤيته للرئيس السادات، قال كيسنجر "لم نعرف شيئا عن السادات عندما وصل للرئاسة في مصر، كانت تقديراتنا أنه لن يبقى في موقعه أكثر من عام، لم يكن أحد ما ينظر إلى السادات بجدية"، وفي سؤال من معدي الحلقات عن استهانة تل أبيب بتهديدات السادات بشن الحرب أوضح المسئول الأمريكي "لقد أطلق السادات تهديدات كثيرة ضد تل أبيب على مدار فترة زمنية طويلة، ووفقا لتقديراتنا لم يكن للسادات القدرة العسكرية على تنفيذ تهديداته، وكانت تلك هي تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية، التي وصلتنا مرارا وتكرار" .

لمحة

أ. د. حلمى القاعود

الشخصية الإسلامية فى أدبنا الحديث

تعرضت الشخصية الإسلامية في أدبنا الحديث إلى السخرية والزراية بطريقة غير مسبوقة في أدبنا العربي على امتداد تاريخه الطويل، وقد تفنن المعادون للتصور الإسلامي والموالون للتصورات المادية والاستعمارية في تصوير الشخصية الإسلامية تصويراً بشعاً وقبيحاً وفصامياً، يقوم على التناقض بين القول والفعل، والكلام والعمل، لدرجة أن المرء - من أي ملة كان - يعتقد من خلال هذا التصوير أن الشخصية الإسلامية لا تتفق وطبيعة الحياة، وأن الإسلام - وهذا هو الأهم - لا يصلح ليكون منهجاً وطريقة سلوك، فعلماء الدين ورموزه الذين تصوّرهم الأعمال الأدبية منافقون وكذابون وزناة ومرتشون ومصالحهم تسبق معتقداتهم ! بل إن هذه الأعمال أسرفت في تصوير المسلم بصفة عامة، حين جعلته "يطبع" علاقاته مع الانحرافات السلوكية التي تتناقض مع العقيدة والشريعة، لدرجة أننا نرى البيت المسلم مثلاً، لا يخلو من "بار" لتقديم الخمور، أو قاعة للرقص الغربي أو الشرقي، أو أن هذا البيت لا يعرف أفراده الوضوء ولا يقيمون الصلاة، ولا تسمع منهم تحية الإسلام، ولا ذكر الله، ولا تعبيراً يدل على انتمائهم للعقيدة والشريعة.

وإذا كان الشعر العربي الحديث، قد حفل بمضامين غير إسلامية تدعو إلى أيديولوجيات غربية وأفكار فلسفية بعيدة

عن الإسلام، أو حاول أن يشوه بعض الرموز والقيم الإسلامية، فإن الفنون الأدبية الدرامية، وبخاصة المسرح والقصة والرواية، ويتصل بها المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية المأخوذة عنها، قد أحرزت تأثيرات أكثر خطورة في تشويه الإسلام بعامة، ورموزه وقيمه بصفة خاصة؛ وذلك لقدرتها على غزو الوجدان والمشاعر لدى المتلقين بطريقة سهلة وبسيطة وغير مباشرة، بحكم أن الإنسان بطبيعته يستلذ عملية القص والحكي، ويستريح إليها فيما يشبه الخدر اللذيذ؛ لأنه يتابع أحداثاً وشخوصاً وعلاقات تتسلسل أمامه، وهو مسترخ، فيتقبلها غالباً دون عناء أو تفكير أو إعمال عقل بطريقة يقظة .. ويمكن القول بأن الأعمال الدرامية، قد جعلت صورة المتدين مرفوضة لدى قطاعات كثيرة من الناس، وجعلته رمزاً للزيف والانتهازية والسلوك الرخيص.

وفي السنوات الأخيرة، استطاعت بعض الحكومات المستبدة في العالم العربي (الإسلامي) أن تستغل الدراما مكتوبة ومصورة ومشخصة، في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، من خلال استغلال بعض الحوادث والخلافات التي وقعت بين هذه الحكومات، وبعض الجماعات الإسلامية، فأشاعت الأعمال الدرامية التي أنتجتها حكومات الاستبداد أو ساعدت عليها أن ترسم صورة مقززة للإسلام ولكل من ينتمي إليه، بل إن هناك أعمالاً أغرقت في عدوانيتها وبجاحتها ضد الإسلام، فلجأت إلى التاريخ وزورته، وزيفت حياة بعض الشخصيات التاريخية وصورتها في حالة من الانحلال والمجون والزندقة، لتقول بعدئذ إن هذا هو الإسلام المطلوب الذي يتوافق مع "الاستنارة" و"التقدم" .

خطأ كبير:

ومن المؤسف أن بعض المثاليين الذين يقاومون الفساد والانحراف والظلم، قد وقعوا في خطأ كبير، عندما انبهروا ببعض الأعمال الدرامية التي تصور علماء الدين في صورة فصامية متناقضة، وتحوُّل بعض الشخصيات من الاستقامة والطهارة إلى الانحراف والدعارة، وعدّوا ذلك فضحاً للفساد ومقاومة للظلم ونضالاً ضد الاستبداد والطغيان ! والحق أن تعرية الفاسدين والظالمين والمستبدين والطغاة أمر محمود بل ومطلوب، بل وفرض على كل قادر ومستطيع، ولكن هل يأتي ذلك على حساب تشويه صورة الإسلام والمسلمين .. وإيهام الناس أن الإسلام منبع الظلم وأن علماءه والمنتمين إليه ليس فيهم رجل رشيد ؟

هناك شيء في الأعمال الأدبية والفنية

يسمى بالمعادل، والمعادل يعني أن نضع النماذج الخيّرة في مواجهة النماذج الشريرة، قد يكون المعادل حدثاً أو فكرة أو شخصية أو غير ذلك، وهمة هذا المعادل نسف الفكرة التي يرفضها الكاتب أو الفنان وترسيخ الفكرة التي يدعو إليها وينشغل بها، فإذا خلت الأعمال الأدبية والفنية من المعادل، فمعنى هذا أن صاحب العمل يؤكد الفكرة المطروحة ويؤمن بها، وإلا ماذا يقصد الكاتب وهو يجعلنا نتعاطف مع عاهرة كانت من قبل امرأة شريفة ومستقيمة ومتدينة؟ لا ريب أنه أمر مقصود، وخصوصاً إذا كانت قيمة الشخصيات من عمل الكاتب معوجة ولا تعرف الطهارة فضلاً عن الله!

دعك من حكاية الظاهر والباطن التي يسوّغ بها البعض قصور كاتب معين وعدم تقديمه للمعادل المسلم الصالح، فالعمل - حتى لو كان رمزياً - لا يستطيع أن يغفل

هذا المعادل أو يتجاهله.

ويصبح الأمر مثيراً للتساؤل والدهشة والغرابة، عندما تنظر حولك فلا تجد شخصية إسلامية سويّة، لا على مستوى الأفراد العاديّين، ولا على مستوى الصفوة التي يمثلها علماء الدين في تخصصاتهم المختلفة، تتضمنها رواية أو مسرحية أو عمل تلفزيوني أو فيلم سينمائي، إن الأعمال التي تضمنت شخصيات إسلامية قليلة بل نادرة، ولعل هذا كان من أسباب الدعوة إلى أدب إسلامي ينصف الإسلام من معظم الكتاب الذين أغرقوا في كراهية الدين الإسلامي، أو ابتعدوا عنه، أو فهموه فهماً قاصراً!

واقع الحياة:

إن واقع الحياة يحفل بالشخصيات السوية والمنحرفة، والطيبة والشريرة، ومن غير الإنصاف، أن نزيّف الواقع، فلا نرى فيه إلا الشر والقبح والدمامة، وأن نصوّر الشخصيات الإسلامية تصويراً يتسم بالمغالاة والبعد عن الواقع، فلا نرى المسلم إلا صاحب وجهين ومنافقاً وانتهازياً وأفاقاً، وإذا كان بعض المعادين للإسلام يتسقون مع أنفسهم في هذا الاتجاه، فإن المسلمين الذين يسايرونهم يضعون أنفسهم في موقف الريبة والشك.

أ.د. حلمي القاعود

ورحل زعيم السفارديم المتطرف

أعلن أطباء مستشفى "هداسا عين كارم" في القدس عن وفاة الحاخام اليهودي عوفاديا يوسف الزعيم الروحي لحزب شاس المتطرف .. وقد توفي عوفاديا يوسف الزعيم الروحي لحزب شاس المتطرف لليهود الشرقيين (السفارديم) والحاخام الأكثر تأثيراً في إسرائيل الاثنين (٧ أكتوبر ٢٠١٣) عن ٩٣ عاماً، ما أثار صدمة كبيرة في إسرائيل .. ونشر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو بياناً، بثته إذاعة الجيش الإسرائيلي، أعرب فيه عن "حزنه" لوفاة "عملاق التوراة".. وأضاف بالقول : "أعجبت كثيراً بشخصيته الدافئة واستقامته وتعلمت منه كل مرة التقينا فيها .. فيما توجه الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز إلى المستشفى للبقاء إلى جانبه بعد أن قطع لقائه بالرئيس التشيكي ميلوس زيمان بحسب بيان صادر عن مكتبه .. وقال النائب اريه درعي من حزب شاس وهو ينتحب لوسائل الإعلام: "كان أبونا جميعاً وقائدنا ونحن أيتام الآن وبقينا وحيدين بدونه .. من سيقوم الآن بتوجيهنا ؟.."

وقد شيع ما يقرب من ثمانمائة ألف الحاخام يوسف، فقد كان تأثير الحبر المتوفى على عقول الإسرائيليين كبيرا واعتبروه مجددا في فتاواه التي ساهمت كثيرا في تجذير الاحتلال الإسرائيلي للارض الفلسطينية .

الحاخام في سطور :

- ولد عوفاديا يوسف في البصرة بالعراق سنة ١٩٢٠.

- في عام ١٩٢٤، انتقل عوفاديا يوسف مع عائلته من البصرة إلى القدس المحتلة .

- تلقى تعليمه الديني على يد الحاخام عزرا عطية الذى استطاع أن يجعل

عوفاديا يستكمل تعليمه الديني بعدما انقطع عن الدروس نظراً لفقر أبيه وحاجته لابنه كي يساعده في العمل .

- بعد انقطاع الشاب عن الدرس قرر الحاخام عطية زيارة منزل والد عوفاديا، ولكنه شعر بالصدمة من الفقر الذي شاهده هناك. وأوضح له والد عوفاديا أنه يدير محل بقالة صغيرا ويحتاج لولده للعمل لديه. حاول الحاخام عطية إقناع الوالد بأهمية تعلم التوراة، ولكن دون جدوى .. في صباح اليوم التالي، عندما دخل الأب متجره، وجد الحاخام عطية يقف هناك وهو يرتدي مئزر العمل .. قائلا له "لقد قلت إنك بحاجة لشخص للمساعدة وأنت لا تقدر على الدفع .. أنا هذا الشخص الذي سيعمل دون مقابل .. فتعليم ابنك أكثر أهمية من وقتي!". وهنا سمح الأب أخيرا لابنه بمواصلة التعليم في المدارس الدينية اليهودية .

- في عام ١٩٤٧، دُعي يوسف إلى القاهرة من قبل الحاخام أهارون شويخا، للتدريس في المدرسة الدينية اليهودية .. ثم تولّى رئاسة (محكمة الحاخامية) في القاهرة .

- استقال يوسف من منصبه، بعد عامين من وصوله في القاهرة، وذلك لعدم وجود أي نظام للكشروت، الأمر الذي أدى به إلى الصراع بينه وبين أعضاء آخرين في المجتمع .

- وخدم في المحكمة الحاخامية في بتاح تكفا، وذلك بعد عودته إلى إسرائيل .

- وفي ١٩٥١-١٩٥٢، نشر كتابه عن قوانين عيد الفصح اليهودي بعنوان 'عوفاديا تشازون'. لاقى الكتاب ثناءً كبيراً وحصل على موافقة من كبار الحاخامات في تلك الفترة .

- في عام ١٩٧٠، حصل عوفاديا يوسف على جائزة إسرائيل لأدب التوراة .

- عين عوفاديا في محكمة الاستئناف اليهودية العليا في القدس .

- في عام ١٩٦٨ أصبح كبير حاخامات السفارديم في تل أبيب .

- في عام ١٩٧٣ تم انتخابه كبيراً لحاخامات السفارديم في إسرائيل .

- حاخام، باحث في التلمود .

- الحاخام الأكبر لليهود السفارديم في إسرائيل،

- الزعيم الروحي لحزب شاس الممثل في الكنيست .

- يحظي بالتبجيل، وخاصة في مجتمعات السفارديم والمزراحيين .

- يعتبره الكثيرون أهم شخصية دينية في الجيل الحالي، وهو مصدر الفتوى الدينية .

- سعى عوفاديا يوسف لتحسين أوضاع اليهود السفارديم والمزراحيين في إسرائيل .. وهو يؤمن بأن التصويت في الانتخابات البرلمانية، والمشاركة في الحياة

السياسية هو المفتاح لتحسين تلك الأوضاع .

- من خلال زعامته الدينية لحزب شاس، كان له العديد من المواقف المثيرة للجدل في السياسة الإسرائيلية .

مواقف متطرفة للحاخام

- في مايو ٢٠٠٠ صرح الحاخام قائلا : "إن العرب صراصير يجب قتلهم وإبادتهم جميعا"، ووصفهم بأنهم أسوأ من الأفاعي السامة .

- في يوليو ٢٠٠١ دعا الحاخام اليهودي إلى "إبادة العرب بالصواريخ"، وأضاف في "عظة" السبت في كنيس بالقدس بمناسبة عيد الفصح اليهودي أن العرب "يجب ألا نرأف بهم، ولابد من قصفهم بالصواريخ وإبادة هؤلاء الأشرار والملعونين" .

- في أغسطس ٢٠٠٤ وفي خطبة بثتها الفضائيات الإسرائيلية قال عوفاديا يوسف : إن "اليهودي عندما يقتل مسلما فكأنما قتل ثعبانا أو دودة ولا أحد يستطيع أن ينكر أن كلاً من الثعبان أو الدودة خطر على البشر، لهذا فإن التخلص من المسلمين مثل التخلص من الديدان أمر طبيعي أن يحدث" .

- وفي عام ٢٠٠٥ أثار يوسف عاصفة من الانتقادات في إسرائيل عندما دعا الله في خطبة دينية أن "يقضي" على رئيس الوزراء الأسبق أريل شارون بسبب خطته للانسحاب من قطاع غزة .

- وفي حادثة أخرى نقلت عنه صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية في ٧ سبتمبر ٢٠٠٥ أن الكارثة التي سببها الإعصار كاترينا في الولايات المتحدة هي عقاب للرئيس الأميركي السابق جورج بوش بسبب دعمه لخطة الانسحاب الإسرائيلي من غزة، كما اعتبر حجم الدمار الذي خلفه الإعصار في مدينة نيو أورليانز سببه أن "أغلب سكانها سود لا يتلون التوراة" .

- وفي انتخابات الكنيست عام ٢٠٠٩ وعد الحاخام الشرقي الناخبين الإسرائيليين بدخول الجنة بمجرد تصويتهم لصالح حركته .

وقد ظهر بعد ذلك على القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي وأعاد كلامه مع تأصيله من وجهة النظر اليهودية، زاعما أن الدين اليهودي يحث على التخلص من كل من يسكن فلسطين، وأنه جاء في التلمود "إذا دخلت المدينة وملكتها فاحرص على أن تجعل نساءها سبايا لك ورجالها عبيدا لك أو قتلى مع أطفالهم" .

وفي إطار محاولته لإعطاء صبغة دينية على الأحداث التي يشترك فيها الإسرائيليون زعم في تقارير أوردتها صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية في الحرب الأخيرة على غزة أن امرأة حسناء قال إنها راحيل والدة النبي يوسف (عليه السلام) كانت تساعد الجنود الإسرائيليين

في حربهم وإرشادهم إلى مكان مقاتلي حركة حماس .

هذه الفتاوي وجدت مكانا للكره المتأصل للعرب والفلسطينيين .. بحيث اصبح الجندي الإسرائيلي يقتل النساء والأطفال والرضع مستندا الى فتواه تلك مما تسبب في خوض الجندي الإسرائيلي في بحر من الدماء وهو مبتسم فرح لما يقوم به .. في وقت كان الكتاب العرب يشتمون عوفاديا يوسف وما تقوم به إسرائيل دون فعل ما يمكن ان يساعد اهل فلسطين (على الاقل) على رد الهجمات الدموية سوى بالكلمات .

لقد رحل عوفاديا يوسف .. ونحن كعرب لا نذكر له إلا فتاواه بأننا صراصير وأفاع يجب سحقنا بالاقدام .. ولقد خلف عوفاديا من بعده حاخامات اخر يسيرون على نهجه ومنواله ..

ولا ننسى مع كل ذلك أنك إن كتبت على إسرائيلي أو يهودي ما يتملكه من عنصرية .. فانك تذهب الى المحكمة الامريكية بحجة أنك عنصري .. ولم تجرؤ امريكا بكل (حضارتها) أن تتهم عوفاديا ومن وراءه بالعنصريه .. وأغلب الظن أن أمريكا لا تكيل بمكيالين فقط .. وإنما بمكاييل متعددة ..

لقد قدم عوفاديا يوسف لإسرائيل ما لم يقدمه أي مسئول أو ملك لوطنه العربي رغم الإمكانات الهائلة التي يتمتعون بها .. ورغم وصفه لنا بما وصف إلا أننا لا نملك إلا أن نقول : لو كان عندنا حاخاما أو شيخا أو مفت مثل عوفاديا يوسف يستطيع جمع العرب على كلمة واحدة .. لاستطعنا (على الاقل) أن نرفع رءوسنا عاليا .. ولكننا مثل النعامة نضع رءوسنا في الرمال .. وننتظر دائما من يقودنا خلفه وعصابة على أعيننا لا نرى الطريق.

ولكننا نؤمن أن كل ما على هذه الأرض زائل .. ولا ينفع إلا القول الحسن .. وإن ربك لبالمرصاد .

العرب يسلمون أسلحتهم !!

عبد الستار قاسم

على من يظن أن قيام دولة بتسليم أسلحتها فضيلة أو انتصار أو شجاعة أن يعيد التفكير في ظنه حتى لا يقع في سوء تقدير حول كيفية بناء المجتمعات وتسيير السياسات الدولية وإقامة العلاقات الخارجية .

تكررت عملية تخلي العرب عن أسلحتهم وبأشكال وترتيبات متعددة، ومعها تتصاعد أسباب الإحباط ومشاعر الإحباط والذل لدى المواطن العربي .. ويبدو أن المسألة قد أصبحت عادة بحيث أنها لا تهز مشاعر الحكام ومن والاهم، ولا تشكل قضية يتوجب طرحها على جمهور الناس أو أمام وسائل الإعلام للجدل والنقاش .. ولا غرابة، فالمواطن العربي مغيب ومقيد، وصدره دائماً مكشوف للرصاص وظهره للسياط .. مع كل جولة تتخلى فيها دولة عربية عن سلاحها، على العربي أن يتجرع الذل والهوان، وأن يلوذ إلى حسرة فوق مرارة .

أشكال التسليم

لتسليم السلاح أشكال في الساحة العربية، وهي ليست محصورة بنظام عربي دون آخر، بل موجودة على امتداد الوطن العربي، وفيما يلي تفصيلها :

١- التسليم المباشر للسلاح لأمريكا أو جهات دولية وهو اختصاص الأنظمة العربية القومية .. العراق بقيادة صدام حسين سلمت أسلحة كيميائية،

وليبيا بقيادة القذافي سلمت تجهيزات تسليحية بدون قتال وذلك على إثر الغزو الأمريكي للعراق، والحديث يدور الآن حول وضع السلاح الكيميائي السوري تحت إشراف دولي تمهيدا للتخلص منه .. تبنت الأنظمة العربية القومية قضايا الأمة العربية ولو نظريا بخاصة قضية فلسطين، وقررت تطوير أسلحة فتاكة لمواجهة أسلحة إسرائيل وعلى رأسها الأسلحة الكيميائية والنووية .. أفلحت في تصنيع السلاح الكيميائي، لكنها أخفقت في النووي ولم تكن قادرة على إخفاء منشآتها النووية عن أنظار إسرائيل .

٢- التسليم المباشر بتعليمات استخدام السلاح وهو اختصاص الأنظمة العربية القبلية التي نصبها الاستعمار الغربي على الشعوب العربية .. يقوم الغرب بتسليح أنظمة عربية قبلية مثل السعودية والأردن والإمارات العربية ولكن وفق شروط محددة تتعلق بنوعية السلاح واستخدامه وأماكن تخزينه وتموضعه والجهات التي يمكن استخدامه ضدها .. تشترط الدول الغربية عادة عدم استخدام هذا السلاح ضد إسرائيل، ووجوب تخزينه في أماكن بعيدة عن إسرائيل لضمان أمن إسرائيل .. فمثلا تشترط أمريكا نصب الصواريخ المضادة للطائرات في الأردن في أماكن بعيدة عن إسرائيل بحيث لا تطال الطائرات الإسرائيلية، أو عدم نشر الطائرات المتطورة في منطقة تبوك القريبة من فلسطين المحتلة .. وتقبل الأنظمة العربية هذا السلاح عادة وفق الأهداف التالية :

أ - أن يستخدم دفاعا عن الأنظمة العربية القائمة بخاصة في مواجهة الشعوب ؛

ب - للدفاع أو العدوان ضد دول الجوار العربية وغير العربية عدا إسرائيل، أو لشن حروب على هذه الدول؛

جـ - لتوظيفه لخدمة الدول الغربية إن لزم الأمر، ولبقائه بأيدي الدول الغربية إن لم تتوفر أيدي محلية قادرة على استخدامه .

د - استنزاف الميزانيات العربية، أو استرجاع أموال النفط التي تدفعها الدول الغربية .

٣- التسليم المباشر من خلال الجواسيس والعملاء وهو من اختصاص عملاء إسرائيل وأمريكا في القوات المسلحة العربية .. هذا التسليم كان شائعا في الدول العربية التي كانت تعتمد على السلاح السوفيتي مثل سوريا ومصر والعراق، ويطال السلاح الروسي الآن .. قام عملاء عرب من طيارين ومشغلين لأنظمة الدفاع الجوي بتسليم أسلحة سوفيتية الصنع لإسرائيل مثل طائرات الميج ١٧ و٢١ و٢٣، وأنظمة رادار وصواريخ سام ٢ و٣ و٦

٤- التسليم في ميدان المعركة أو على إثر الهزائم .. تركت الجيوش العربية خلفها

كميات كبيرة من الأسلحة نظرا للهزائم التي لحقت بها، وقد غنمتها إسرائيل وباعت أغلبها لدول أفريقية بأسعار جيدة .. والملفت أن منظمة التحرير الفلسطينية تركت أسلحتها في المخازن إبان حرب ١٩٨٢، وأن فلسطينيين قاموا بتسليم أسلحتهم لإسرائيل عبر السلطة الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو، وطلبوا من إسرائيل العفو عنهم .

سلاح المتاعب

أغلب السلاح العربي سلاح متاعب وليس سلاح انتصارات. تدفع الدول العربية القبلية والنفطية مليارات الدولارات سنويا على شراء الأسلحة من الدول الغربية، وبالتالي لا يمكن أن يكون سلاحا للدفاع عن الثروات العربية أو الاستقلال العربي، وإنما يكرس التبعية العربية للدول الغربية، ويكرس لها سيطرتها على الموارد والثروات العربية. سلاح هذه الدول يهدف إلى تكريس الضعف بدل البحث عن القوة، ولهذا بقيت على هامش الأنشطة الدولية فيما يتعلق بمستقبل المنطقة العربية الإسلامية .. (لو) سعت هذه الدول إلى الاستقلال وتحقيق الحرية السياسية لاستطاعت بالأموال الضخمة التي تنفقها على التسلح أن تطور تقنية خاصة بها وتصنع مختلف الأسلحة المتطورة التي تحتاجها .. ومن سيرة مكانتها في المنطقة والعالم، واضح أن شراء الأسلحة ليس إلا تبذيرا وهدرا للأموال العربية لحساب مصانع السلاح الغربية .

أما الأنظمة القومية فعملت منذ عهد عبد الناصر حتى الآن على تطوير سلاح عسى في ذلك ما يحقق لها طموحاتها في تحقيق الوحدة العربية ووضع العرب في مرتبة عالمية متقدمة، لكنها في الحقيقة لم تعمل على تطوير البيئة الضرورية للمحافظة على السلاح وتطويره .. استمرت هذه الأنظمة في قهر شعوبها وملاحقة المعارضين وإشاعة الفساد في مختلف أوصال الدولة، وفشلت في الاستمرار في التقدم بتصنيع أسلحة كفيلة بالدفاع عن الترسانة التي تملكها .. بقي السلاح العربي القومي مكشوفا من زاويتين : زاوية العدو الذي يملك قدرات تقنية متطورة جدا وقادرة على تدمير السلاح العربي، وزاوية ضعف الشعوب التي أرهقتها أجهزة المخابرات العربية وسوء صنيع الحكام في سياساتهم الداخلية .. السلاح تحميه الشعوب عندما تكون متكاتفة ومتضامنة وتسود الثقة علاقاتها الداخلية، لكنه سرعان ما يتحطم عند كراهية هذه الشعوب للحكام وأجهزتهم الأمنية .

سواء كانت هذه الدول أو تلك، لحق بالعربي الكثير من المآسي والأحزان بسبب الاستهتار في حمل السلاح وعجز الأنظمة عن الدفاع عنه .. والآن نحن العرب أمام

ضائقة شديدة تتمثل بقبول النظام السوري بوضع أسلحته تحت الإشراف الدولي. لا نريد استباق النتائج، لكن مجرد الموافقة تكفي لتصيب العربي بالهلوسة .. والأدهى من ذلك أن دولا عربية تقف في صف إسرائيل وأمريكا تطالب بكل قوة بتجريد النظام السوري من أسلحته الكيميائية. الخسارة ليست مجرد سيرة عربية، وإنما هي مطلب عربي نناشد الآخرين بإنجازها لنا .

إبداعات السلاح العربي

سلاحنا مبدع عندما نواجه بعضنا. نحن نقاتل بشراسة منقطعة النظير عندما تكون الحروب داخلية، ولدينا الاستعداد لارتكاب المجازر والمذابح ضد الطرف الداخلي الذي نعاديه بطريقة أشد من معاداتنا للأطراف الخارجية .. أمام إسرائيل، لا نصمد إلا قليلا، لكننا حاربنا لسنوات في اليمن عندما اقتتلت مصر والسعودية، ودامت الحرب الأهلية في لبنان خمسة عشر عاما، والفصائل الفلسطينية قتلت في اقتتالها المتتالي فلسطينيين أكثر مما قتلت إسرائيليين، والعراق لا تيأس من الاقتتال الداخلي، وكذلك السودان واليمن الآن .

نحن نملك نفسا طويلا للاستمرار في الاقتتال الداخلي، والقيمة العليا التي تحكمنا هي معايير التسلط العربية التي تؤكد الذات وتنفي الآخر تماما .. ليس من الأهمية الكبيرة أن نكون تحت حكم الأجنبي أو سيطرته أو نفوذه، وإنما المهم جدا أن يبقى العربي سيدا على ابن جلدته وليس متساويا معه. في كثير من الحالات، نحن (طبعا لا أعني الكل، وإنما أعني أن الظاهرة موجودة) على استعداد أن نخدم الأجنبي من أجل أن يساعدنا ضد أبناء بلدنا، ونحن على استعداد للخيانة الوطنية من أجل الانتقام من خصومنا الداخليين، ولدينا استعداد لأن نعمل جواسيس لإسرائيل والدول الغربية لكي ننال الرضا والمساعدات في السيطرة الداخلية على شعوبنا .

أمام إسرائيل، صمودنا ضعيف، وأمام أمريكا نعاني انهياراً كبيراً .. صنعنا السلاح الكيميائي لضرب إسرائيل فقتلنا به شعوبنا والجيش الإيراني سواء كان المصنّع أنظمة أو حركات جهادية. كدسنا الأسلحة فاستعملناها في نزاعاتنا الداخلية، وحاولنا الاستعداد للقاء الأعداء الخارجيين فتورطنا في حروب أهلية .

المقاومة العربية

فقط حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي ولجان المقاومة الشعبية الفلسطينية وألوية الناصر صلاح الدين استعملت السلاح بكفاءة عالية في مواجهة العدو على الرغم من أن حماس تورطت في اقتتال داخلي .. الشعوب العربية ليست كحكامها الذين يرتبطون بقوى خارجية أو

يجرون وراء نزواتهم وشهواتهم، وهي دائما قادرة على تحمل المسئولية وراغبة في تقديم التضحيات. شعوبنا لا تبخل، وهي مستعدة للدفاع عن الأمة بأقل قدر من الأسلحة، لكن أجهزة الأمن العربية لا تتوقف عن ملاحقة الأوفياء والمخلصين .

لقد أبدع حزب الله عندما انطلق وشق طريقه بمعاناة شديدة حتى أصبح قوة لا يُستهان بها في المنطقة، وهو يقوم بواجبه باحتراف ومهنية وبمستوى أخلاقي رفيع، لكنه لا يسلم من المحاولات العربية وبالذات اللبنانية لتحطيمه. أما المقاومة الفلسطينية فقد أثبتت قدرتها واحترافها في حربي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ و٢٠١٢ اللتين شنتهما إسرائيل على القطاع، وهي لا تسلم أيضا من المؤامرات العربية وبالذات الفلسطينية لنزع سلاحها .. العربي مقاتل شجاع ومستعد للموت دون سلاحه، لكن حكوماته لا تسعفه، وسرعان ما تنهار أمام الخوف من فقدان السلطة .

هناك مقاتلون جهاديون يتمسكون بسلاحهم، وقد أثبتوا قدراتهم على المحافظة على هذا السلاح، لكنهم غير قادرين حتى الآن على استيعاب الفكرة

الإسلامية، والتمسك بها في التعامل مع الآخرين، ووصل بهم الحد إلى الإساءة للإسلام بممارساتهم العنيفة ضد كل الناس .

لمن ننحاز

فيما يخص تسليم السلاح والعبث بمستقبل الأمة، يخطئ من ينحاز لصالح نظام عربي ضد آخر، فكل الأنظمة تقوم بما يلزم من إجراءات من أجل الإبقاء على الأمة ضعيفة هزيلة .. لن يفلح من ينحاز لنظام عربي دون آخر، ولن يفلح من لا يضع إصبعه على الجروح العميقة التي تصنعها هذه الأنظمة في جسد الأمة. الانحياز يجب أن يكون للأمة فقط وذلك في البحث عن أفضل السبل التي يمكن أن تخرجنا من هذا التخلف الذي نغوص فيه، ومن الهزائم المتكررة التي نمنى بها .

نحن نختلف في تقييمنا للأمور وفي مقارباتنا وفي رؤانا للمستقبل، لكن توجهنا نحو بناء الأمة يوحدنا، ويجعلنا أكثر قدرة على التخفيف من هول التراث القبلي لصالح المجتمع الأوسع الذي يتساوى فيه الجميع، ويشارك في بنائه الجميع .. هذه الأمة أمتنا، وبها يرتبط حاضر كل واحد منا، وبها يتحدد مستقبل أجيالنا القادمة. وإذا كان لنا أن نتوارى وراء أنظمة عربية ونقبل تبريراتها الانهزامية والتآمرية، فإن الأجيال العربية ستهزأ من التاريخ الذي نتعمد تزويره .

سلسلة روايات إسلامية

حاليا مع الباعة والمكتبات
وتوزيع الأخبار